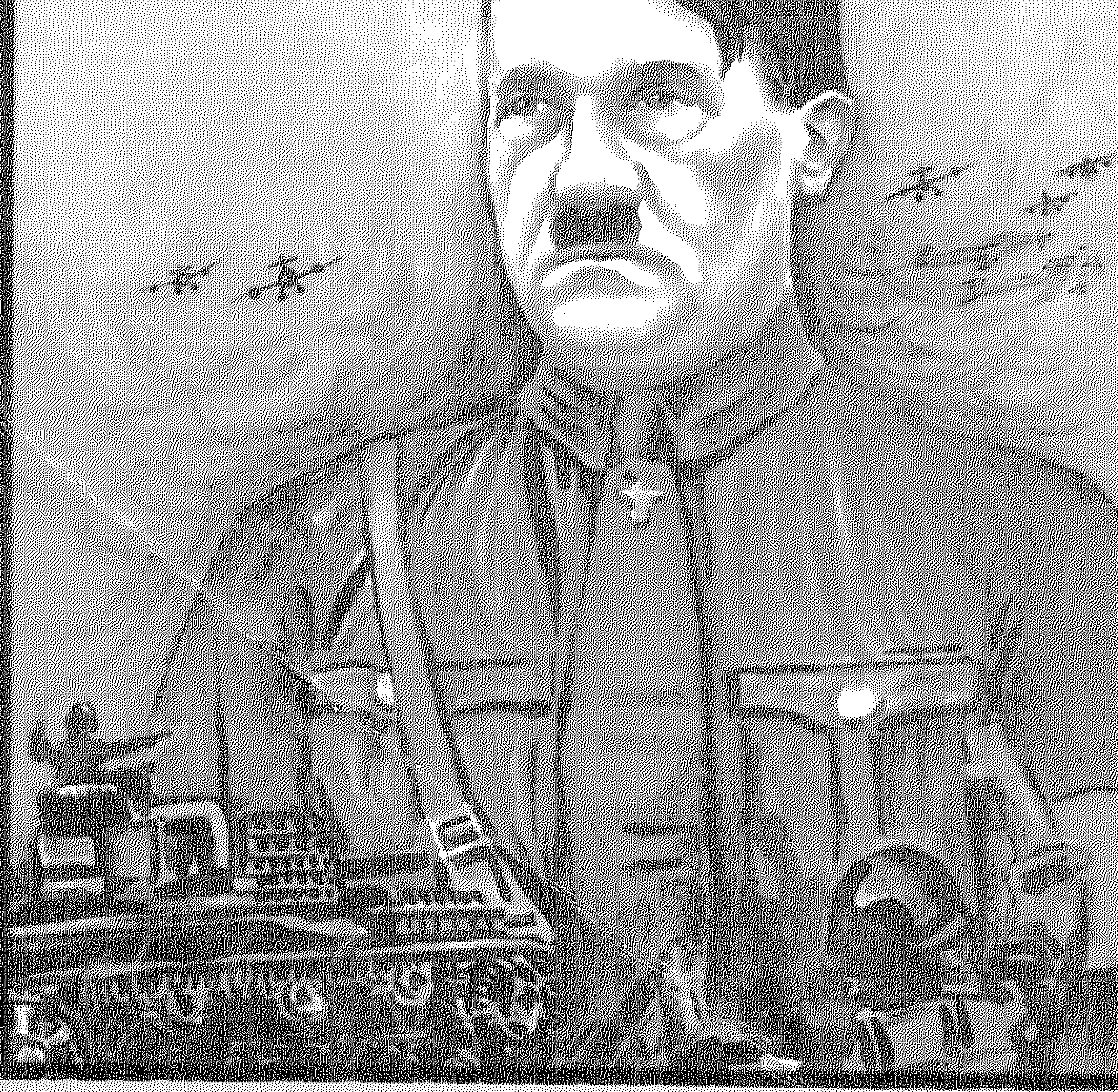
6

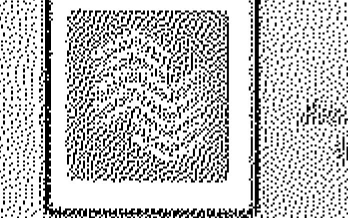
# هتلر

## النازى المتهوِّر





يف : جمال بدران رسوم وتصميم : وائل حمدان



مكتبة الدار العربية للكتاب

# هتلــر

## النازى المتهوِّر

الناشر : **مكتبة الدار العربية للكتاب**

٢٤ شارع الدكتور حسن إبراهيم متفرع من
مكرم عبيد - ص . ب ٧٥٨٤
الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة.
تليفون وفاكس: ٢٧٤١٧٢١

رقم الإيداع: ٧٥٢٨ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى: 4 - 040 - 293 - 977
تجهيزات فنية : **ار ـ تك**
العنوان: ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
طبع: **آمون**
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى: صفر ١٤١٩ هـ مايو ١٩٩٨ م

سلسلة الطغاة والجبابرة
للشباب والناشئين

# هتلر
## النازى المتهوّر

بقلم : جمال بدران

رسوم وتصميم : وائل حمدان

الناشر
مكتبة الدار العربية للكتاب

# تقديم

وُجِدَ الصِّراعُ بين الحَقِّ والباطل منذ فَجْر الإنسانية، وسيظَلُّ هَذَا الصِّراعُ مشتعلاً إلى أن تقوم السَّاعةَ، ومِن ثَمَّ زخرَ التاريخُ الإنسانى بأعدادٍ من الطُّغَاة والجَبَّارِين الذين حكموا أوطانهم بالحديد والنار، فأذَلُّوا الرِّقَابَ، وتَحكَّمُوا فى العِبَاد، وذاقتْ شُعوبهم ـ علىٰ أيديهم ـ كثيرًا من أنواع الظلم والقسوة والبَطْش والجَبروت.

إن التاريخَ يُمْلِى علينا ألاَّ نَرْضَى بِالذُّلِّ، ولانستكين للظَّالم، بل علينا أن نُقاوِمَ الظلمَ وننتصرَ للحَقِّ. . هكذا علَّمَنَا التاريخ، ومِنْ مَساره عَرَفْنَا أن الظلم مهما طالَ فهو قصيرُ المَدَى فى حياة الأُمم والشُّعُوب، وأنَّ الظلامَ لايدوم، فلابد أنْ يأتىَ اليوم الذى تُشْرِقُ فيه شمسُ الحُريَّة والعَدالة، وسينتصرُ الحق فى النهاية. . وسَيَلْقَى كُلُّ جبَّارٍ وطاغية مصيرًا مؤلماً فى النهاية، وسَيُلْقَى فى مَزْبَلَةِ التَّارِيخِ مُشَيَّعًا بلعناتِ أَهْلِه وشَعْبِهِ، والإنسانية كلها.

وهَذه السلسلة التى تُقدمها «مكتبة الدار العربية للكتاب» للقارئ هىَ لمَجْمُوعَة من الطُّغَاةِ والجَبَّارِين الذين عانَتْ شُعوبهم كثيرًا مِنْ ظُلْمِهم وجَبَرُوتِهِم، ولم يَنْسَ لهُمُ التَّاريخ ما ارتكبُوه فى حَقِّ شُعوبهم ـ بل وفى حَقِّ الإنسانية ـ التى لم يُرَاعُوا حُرمتها، ومنْ ثَمَّ اعتدوا على حُرِّيَّات شُعوبهم، وكَمَّمُوا أفْوَاهَ مُواطِنِيهم، وأجْبَرُوهُم

على تنفيذِ ما يُريدونَهُ منهم بالإرْهَاب والتعذيب تارَةً، وَبالإِذْلاَلِ والإِهانَة تارةً أُخرى، وغير ذلك من أساليبِ القَمْعِ والبَطْشِ والاستبداد.

إنَّ المكتبة العربية فى حاجة إلى مثل هذه النوعية من الكُتُب التى تُعَدُّ بمثَابَة جَرَسِ إنذارٍ للحُكَّامِ والشعوب عامة.

وهى تُقَدِّمَ للشباب صورةً حَيَّة وواقعيَّة عن حياة هؤلاء الجَبَابِرَة - أو بمعنًى أدَق: هؤلاء المَرْضَى - وتكشف عن الجوانب الغامضة التى أحاطت بنشأتهم وحياتهم، والظروف التى مَرَّ بها كُلُّ حاكمٍ منهم، للاستفادةِ مِنَ الأخطاء التى وقعوا فيها ودَفَعُوا ثمنها غاليًا فى النهاية.. والتى جعلتْ منهم - فى نظر التاريخ - طُغَاةً مُستبِّدين، ومن ثَمَّ انصبتْ عليهم اللَّعَنَات مِنْ شُعوبهم والْبَشَرِ أجمعين على مَدارِ التاريخ.

إننا إِذْ نُقَدِّمُ إليكَ عَزِيزِى القَارِئ هذه السلسلة الفريدة، فَإننا نهديها أيضًا إلى كُلِّ إنسان تجرَّد مِنَ الشَّفَقَة والرحمة، ولايقبل الموعظة.. وإلى كُلِّ قاهرٍ وعَات ومُتَسَلِّط من البَشَرِ ليتعرَّفَ علَى ما آلَ إليه مَصيرُ كُلِّ جَبَّارٍ وَطَاغيَة.. فَإنَّ فى قِصَصِهم عِبْرَةً وعِظَةً لأُولِى الألْباب.

«الناشر»

# من المهد إلى الجيش

كلما ذُكر اسم أدولف هتلر برز الشرّ مقترناً به، لا لأنه ارتكب من الشرور ما يثقل كفة حسابه، ولكن لأنه لم يكن يرى حوله إلا كل شرّ وكلْ كُرْه وحقد أيضًا. . فليس للشرّ من وجود ـ على رأى الفلاسفة ـ إلاّ بالنسبة للإرادة التى تريده، ومن ثم كانت إرادة هتلر هى التى دفعت به إلى هذا الأختيار الصعب، حتى ولو استطاع بفصاحته الخطابية أن يبرر إرادته الشريرة بالغواية أو الإغراء، أو المرأة والشيطان.

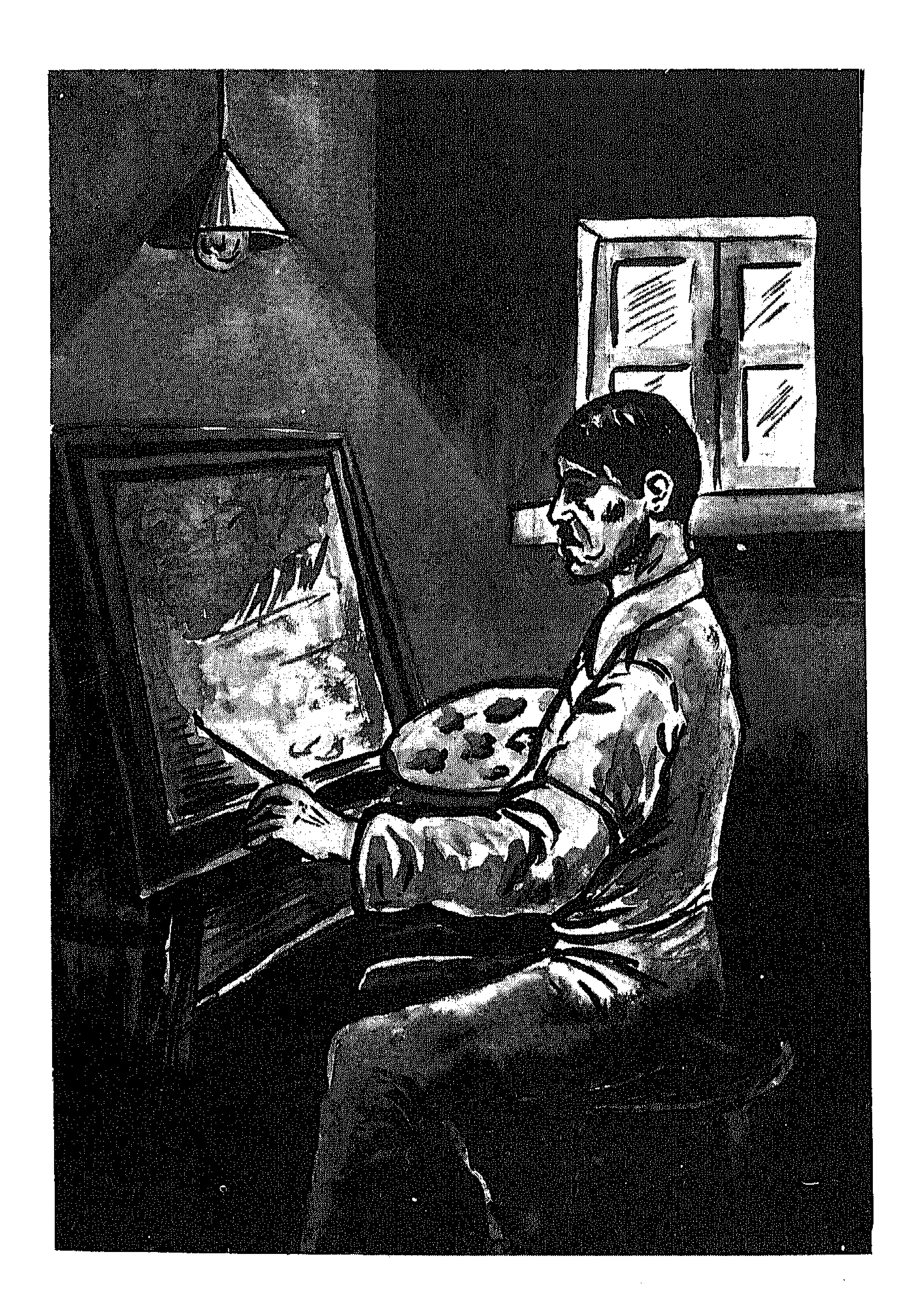
إن طفولة «هتلر» كانت تنبئ بكل هذه الأنحرافات، فالطفل يحبو على ركبتيه. . منجذبًا إلى بريق النار، أو بريق الماء. . فإما أن يبتل أو يحترق، وله العذر عندئذ بأنه لايعى ما يشدّه إليه من أخطار، لكن لاعذر له إذا ما فعل هذا بعدما شبّ عن الطوق وكبر. . هكذا كان فوهرر ألمانيا (أى زعيمها). . ظلّ البريق يشدّه إليه حتى أعماه بأطماع لتملك وجنون التوسّع عن الحبل الذى ازداد إحكامًا حول

رقبته، فلم يستطع منه فكاكا لتزهق روحه.

هكذا ظلّ «هتلر» يوسّع من حبواته، حتى صار يقفز القفزة تلو الأخرى ليستفزّ كل العالم القريب منه والبعيد على السواء، فمنذ أن ولد بقرية «أورفاهر» النمساوية عام ١٨٨٩ وهو يعيش فى ضنْك، ويعانى مرارة اليُتْم. ومن غريب المصادفات أن يتفق يوم مولده مع تاريخ دخول الفيلسوف الألمانى «نيتشة» البيمارستان بعد أن بلغ به الجنون مبلغه.

والارتباط بين آراء «نيتشه» حول الإنسان الأعلى «السوبرمان» والسلام والحرب وبين تعاليم النازية التى بشر بها «هتلر» بتميّز الشعب الألمانى، وتحقُّق المجتمع العالمى بقوة هذا الشعب العملاق.

ترك الفتى «هتلر» قريته «فيينا»، يريد الالتحاق بأكاديمية فنونها الجميلة، وكانت تبدو عليه ملامح القلق والتوترّ، التى زادت عندما رفضت الأكاديمية قبوله فيها.. ولم يكن «هتلر» مقتنعاً برفض الأكاديمية له، فهو رسّام ناشئ ليس بالجيّد، ولكنه ليس سيئاً أو عاجزًا عن رسّم اللوحات والإعلانات والملصقات.. نعم كانت امتحانات القبول فى الأكاديمية صعبة للغاية، فلم يكن ينجح فى الالتحاق بها إلاّ كل نابغة مبدع.. وكان «هتلر» يعرف أن تصفية المقبولين تتم بدقة متناهية لكنه لم يكلّ عن محاولة التقدم مرة واثنتين وثلاثاً، بل تسع مّرات، ويفشل!



وبرغم إخفاق هتلر فى الالتحاق بأكاديمية الفنون فإنَّ هذا لم يثْنه عن رسم اللوحات المستنسخة للارتزاق، كما أنه أيضاً لم يستطع أن يكبح جماح نفسه عن الحقد الذى ملأ قلبه، وينفث ما فى صدره من زفير داكن، غير أنه كان فى تلك الآونة يستغرق فى قراءة ما يطيب له من تاريخ عسكرى، ومغامرات، فيندمج مع ماقرأه، لاتحليقاً فى الخيال، وإنما تدبيراً لإمكان ما هو محال، حتى أنه قال ذات مرّة: «أبدو وكأننى عايشت معركة تيتانيك فى كيانى وأعماقى».

ففضلا عمَّا تحتويه الكلمه من معنى التجبّر، فإنها أيضاً تتضمن معركة آلهة التيتانيين وخلفائهم لدى الإغريق من بعد موت الإسكندر المقدونى، حيث شملت المعركة البرّ والبحر، وابتكرت نماذج جديدة من السفن الحربية المتفوقة كالسباعيات والسداسيّات والخماسيات ومايليها من ترتيبات، كما صوّرت ما جرى فيها من مصادمات وقتالات. وقدْ يظنّ ظان أن جسم الشاب «هتلر» قد منحه الله قدراً من البسْطة فى الطول والعرض، ووفرة فى الكتفين وعضلات الصدر والذراعين. . لكنه كان على خلاف ذلك تماماً. . ويكفى أن نعرف أن تجنيده فى الجيش النمساوى كان مرفوضاً لعدم لياقته فى البصر وفى بنيان جسمه!! وبرغم جهامته وسرعة غضبته وغطرسته وميله إلى الألعاب الحربية فى طفولته، فإنه كره الانخراط فى سلك الجندية فى شبابه، وتهرَّب منها، ثم فرح عندما أعفى منها بسبب ضعف جسمه وبصره.

ولما توفّى أبوه ـ وكان يعمل وكيلاً للجمارك، وكان عنيفًا صارماً ـ كان «هتلر» فى سن الرابعة عشرة، وشعر «هتلر» بفراغ كبير، فَقَدَ به رُكناً ركينا فى البيت، ألا وهو ركن الأمان. لذا فإنه تأكد من ضرورة وجود مثل هذا العنصر الهام فى كل البيوت، وفى البيت الكبير بعدئذ، عندما يتولى زمام الأمور فى ألمانيا كلها.

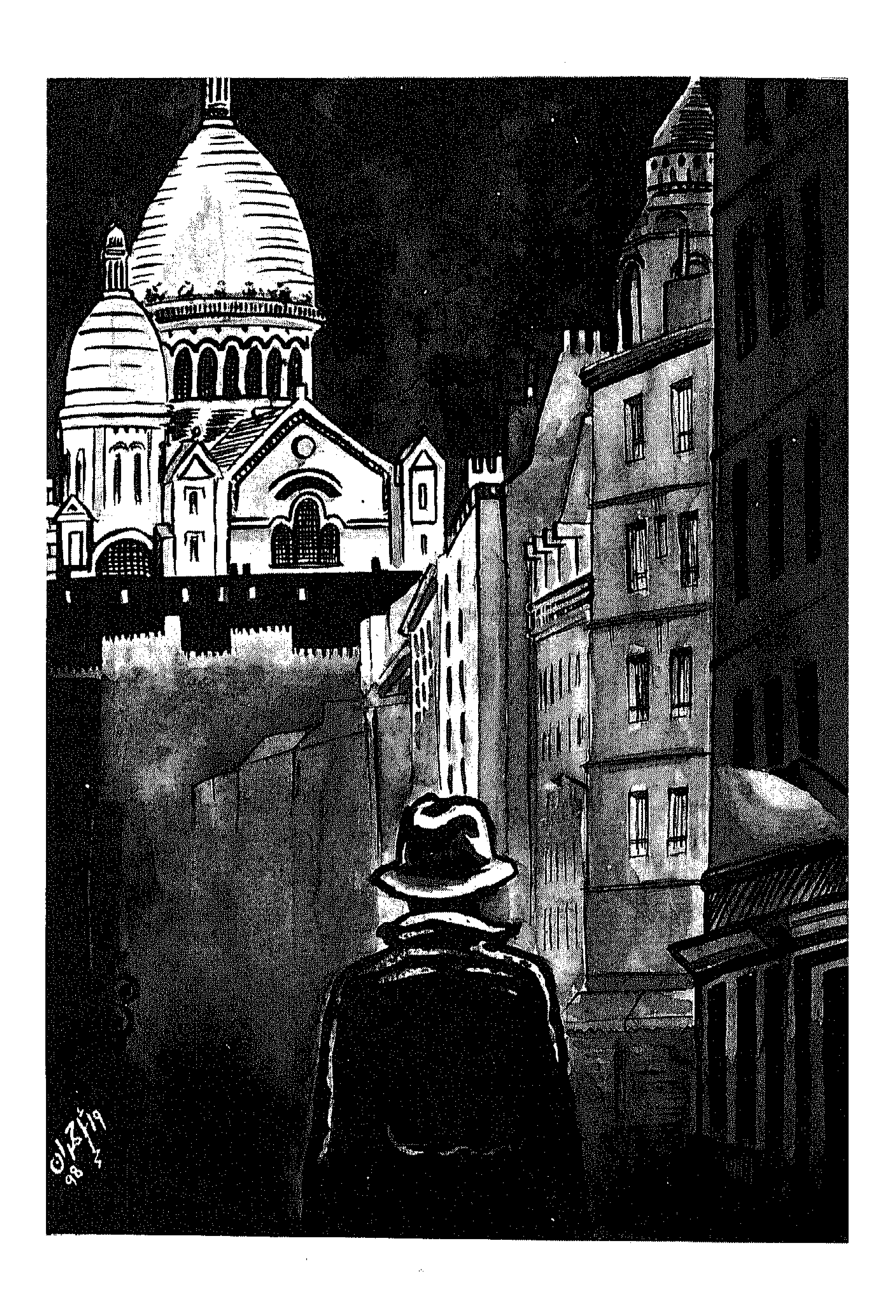
وازداد «هتلر» التصاقًا بأمه الشابة «كلارا» التى تزوّجها أبوه بعد زيجتين سابقتين. ومن ثم فإنه كان بلا أصدقاء، فيما عدا صديقه الوحيد «أوجست». ذلك الموسيقى المماثل فى طباعه طباع «هتلر»، والذى اكتشف فيه موهبة لم يكن «هتلر» ينتبه إليها.. ألا وهى موهبة الخطابة. لكن القدر لم يشأ لهتلر أن يهنأ بالاطمئنان فى كنف أمه.. فاختطفها الموت مبكرًا، كما تململ صديقه الأوحد من نفقات الحياة فى «فيينّا» فآثر هجرها، وانسحب راجعًا إلى بلدته. وبقى «هتلر» يتسكع فى شوارعها، ينفق مما ورثه عن والده من ميراث بسيط كفاه ليعيش سنتين أخريين، فلم يجد سبيلاً غير الانضمام لطوابير العاطلين الذين يتقاضون إعانة ضمان الحياة بالكاد.. ويتوارى عن الأنظار فى ملجأ البلدية حيناً لينام، وينتظر الطعام إحساناً من كنيسة حيناً آخر، حتى إذا ما طالت شهور تعطله بدون رغبة فى الانتظام فى عمل، انقطع عنه راتب العون الحكومى،

وجفّت منابع إمداده بما يقيم أوده ببيع الملصقات أو اللوحات التى يرسمها، مما اضطره ليعمل حمّالاً فى محطة القطار، أو يجرف الثلوج من الطرقات.

وقد سجّل «هتلر» هذه المرحلة فى كتابه الشهير «كفاحى.. ما بين كامبف» بقوله: «كانت «فيينا» بالنسبة لى مدرسة شاقة، إلاّ أنها علمتنى الدرس الأساسى فى حياتى».

فما هو هذا الدرس الأساسى؟

إن ما حاق بألمانيا ليس إلا من صنع الدعاية البريطانية الخبيثة وخيانتها، والحصار البحرى الجائر الذى ضُرب على بلده، وما حُمِّلت به من عبء التعويضات الفادح، ودسائس الدوائر المالية العالمية، واليهودية على وجه الخصوص، وجشع اليهود.. إن معظم أصحاب الأعمال الذين كان يذهب إليهم يائسًا يكونون من اليهود. إنهم يختفون خلال أيام الفقر ويزدهرون أيام الرَّغَد، لهذا فإنهم قبضوا بأيديهم على موارد المال خلال سنوات ما بعد حرب ١٩١٨. فكيف يكون تصرّف الشاب المحاصر نفسيًّا؟ وإلى أين يتجّه؟ إلى البلشفية؟! إنه لاينسى أن الشيوعيين مشتركون مع الديمقراطيين الاشتراكيين فى المؤامرة التى أسقطت جبهة الوطن، وخسران كل التنازلات بدون أى مقابل.



إن الشاب «هتلر» حاله كحال جيل كامل جديد من الألمان، وكملايين الشبان من أبناء بلده الذين ضاقت الأرض عليهم وأذلتّهم الأيام بالانهيار المالى الذى يخنق الوطن. وبالجمهوريتين السوفييتيتين اللتين تكونتا فى «بافاريا» وتبشران الألمان بالشيوعية القادمة.

إن الوطن فى خطر.. هكذا توصل «هتلر» إلى تشخيص المرض، فهل ينجح فى التوصّل إلى الدواء؟ أنه كلما ازدادت الأحوال ضيقًا به لم يكن يجد صديقًا وفيًّا، أو قريبا حفيًّا به غير خالته العانس.. فكانت تمدّه بما فى وسعها من مال.. لكنه لم يطل به المقام فى «فيينا» كلها.. إذا قرّر الانتقال إلى «ميونيخ» على الحدودين «النمسا» و«ألمانيا».

## فى ميونخ:

وصل «هتلر» إلى «ميونخ» حاملاً على كاهله كل مشاعر التبرّم والضيق، والكُرْه الدفين لكل يهود فيينا، ومزوّدًا أيضًا بخبرة عملية وبراعة فى اقتناص الفرص، وزاد لديه الإصرار على حبّ الحياة والبقاء، كما اكتسب تحوّلاً ملحوظًا نحو الخدمة العسكرية.

تقدمّ الشاب «هتلر» مختاراً للتطوع فى الجيش وهو فى سن الرابعة والعشرين.. وازداد رغبه فى قراءة الصحف لتنمية معتقداته السياسية. ويتأجّج الشاب حميّة الإثارة كلّ من يوجد بينهم من البسطاء، ويتناسى السبب الذى من أجله أعفى من التجنيد ألا وهو

ضعف جسمه وعجزه عن حمل السلاح. فألحقوه بجماعة المشاة الاحتياطية «باقاريان ١٦» فدفعته حماسته إلى إبداء ضروب من الشجاعة دلّت على إخلاصه العقيدى لفكرة الوطن الألمانى، وتميُّز المواطن الألمانى... فَرُقِّى إلى رتبة «عريف»، وقُلِّد الصليب المعدنى مرتين واكتسب احترام عناصر الجيش وضباطه، وذلك برغم لهجته النمساوية فى نطق الألمانية كما كان يرفض التدخين واحتساء الخمر، وكان يكره الحديث عن النساء ويلقى الخطب يذم بها هذه الرذائل.. كان ذلك كله محّل إعجاب الجميع.. وحبّهم له برغم عُزلته وتفضيله الوحدة.

## عوامل ساعدت على دعم مركز هتلر:

وقد ساعدت عوامل أخرى على دعم مركز «هتلر» عوامل نابعة من داخله هو إزاء ظروف عمله العسكرى، فهو باعتباره مراسلاً لجماعة المشاة تعرض كثيراً للنار والرصاص وهو رائح غادٍ بين مركز القيادة وخط الجبهة فى المعارك، فلم يهتز لذلك ولم يتأثر، وكان يتميز بالجرأة فى أداء مهامه حتى ولومات من أجلها يتضح لنا ذلك جليـّا حين ألقى بنفسه أمام قائده لحمايته من قذيفة مدفع ونجاته بأعجوبة، وحين تعّرضت خيمته للحريق من جرّاء قنبلة سقطت عليها من الأنجليز بعد مغادرته لها بثوان.. وعندما نقرن كل هذا بطبيعة «هتلر» المتطلعة للصدارة، وشخصيته القائدة المقدامة، نصل إلى النتيجة الطبيعية التى حققها الفوهرر.. وهى جبروت البطولة فى

.حرب عظمى خاسرة فقد انهزمت ألمانيا، وأصيب «هتلر» فى قدمه وهو يحمل رسالة إلى الخطوط الأمامية فى جبهة فرنسا وأعيد إلى ألمانيا للعلاج، فوجد أن سطوة اليهود قد تعاظمت ماليًّـا، كما وجد أن شيوعيى ألمانيا قد استفحل خطرهم.. أضف إلى ذلك كله حرمانه من معاودة العمل فى ميدان الحرب، فضلاً عمَّا أسفرت عنه الحرب من فَرْضِ مطالب وتعويضات، فإنهار المارك الألمانى تحت ضربات التضخم، وتزايدت أعداد المتعطلين بفعل إفلاس المصانع وقفلها.

لم يجد «هتلر» علاجًا لشفائه من المرارة التى أحسّ بها غير ضرورة العودة إلى ساحة القتال، لكنه، ما إن عاد حتى لاحقته الانفجارات فأفقدته بصره إلى حين توقيع ألمانيا على شروط انتهاء الحرب.. ومن ثم ظلَّ رهين محبسه البصرى زهاء شهر أو يزيد، حتى إذا ما نجحت محاولات علاجه، وارتد إليه بصره كانت ألمانيًا قد تحولت إلى جمهورية اشتراكية.. لكنه كان قد فقد عمله فى الجماعة ١٦، كما فقد كلبه الوفىّ الذى كان يقوده حين فَقَد بَصَرهُ.

وعندما رفعت عن عينيه غشاوة العمى رأى مالم يكن رآه من قبل، حتى أنه شك فى ارتداد بصره إليه!! فماذا رأى؟

لقد رأى موجات من العمَال الثائرين يصطدمون بحوافّ المدن، ورأى أحزاباً تتوالد متنافسة على السلطة بداخل المدن ونداءات للقوات المسلحة لكى تتدخل وتحسم الأمر.. فينشأ انقسام بين



فيالقها، بين مستجيب للنداء وبين رافض للتدخل .

## الحرب الأهلية الألمانية :

وتعرّضت ألمانيا للتمزّق فى حرب أهلية، عمادها وحدات عسكرية تقمع بكل وحشية، ومائتا ألف عامل مسلّح، تجوب الشوارع شاهرة أسلحتها، وصائحة بالهتافات المتحدّية، فكان لابدّ من وقوع المحظور. . تقاتل وقتلى. . وأجساد تتناثر فى كل «برلين» وتتوالى الأحداث سريعة، وتمر الأيام وتُجْرَى انتخابات لرأب الصدع الاجتماعى والسياسى، واختار القادة الجدد كنيسة أثرية لاجتماعهم، فباغتتهم فرق الجيش على ضوء تقارير جواسيس عسكريين ـ وكان من بينهم صاحبنا الجسور «هتلر»!! إذ كان ينظم الاجتماعات، ويلقى الخطب الموحى بموضوعها من الحكومة، وتكاثرت المنظمات السياسية العنصرية. ويندسّ «هتلر» بينهم، فيحسّ بمدى التفاهة بأفكارهم وعدم جدواها ذلك لأنهم لايدركون الحقيقة التى يجب ألاّ تغيب عن وعيهم، وهى أن الألمان عرق صاف وعليهم أن يحكموا العالم، كما عليهم أن يعرفوا حقيقة أخرى، وهى أن اليهود والشيوعيين الموجودين بينهم هم الذين يهددون نقاء عرقهم. فما هو الدور الذى يجب على الألمان أن يلعبوه تجاههم؟. .

أولاً وقبل كل شىء لابدّ من تخليص العمال من كل المعتقدات الماركسية والاشتراكية ببرنامج واضح، وقائد حادّ قادر على العمل .

## صعود نجم «هتلر» :

وفى اجتماع من تلك الاجتماعات العديدة، لبحث حلول

لمشكلات العالم، والآراء فى شكل الحكومة المنشودة. . وعندما طرح موضوع ضرورة استقلال «بافاريا» انبرى «هتلر» ليخوض غمار نقاش طويل، يستميت الزعيم فى الاعتراض عليه ضمانًا لوحدة الشعب الألمانى، فبلغ القمّة يومها فى سَلْبَ الألباب، والسيطرة على نفوس الحاضرين بخطابته البليغة، وفصاحته المقنعة، مما اضطر أنصار انفصال «بافاريا» إلى لانسحاب. . وواصلت عناصر حزب العمال المجتمعة الهتاف لهتلر، وانبرى «دركسلر» زعيم الحزب يصافحه مهنئاً، ومرحبًا به عضواً منتسبًا للحزب. . فقبل هتلر.

وكذلك لم يعترض الجيش على اشتغال «هتلر» بالعمل الحزبى، مخالفًا بذلك نظامه الصارم، من أجل تحقيق رغبة العسكريين فى إعادة بناء جيش ألمانيا المفكك، وإيجاد حركة تحمل المعتقدات نفسها، فأصدروا الأمر له بالانخراط فى صفوف حزب عمال ألمانيا وأطاع الجندى اللامع «هتلر» أوامر قادته ليبدأ مرحلة جديدة فى حياته. . ولتمتدّ من المهد إلى الجيش الألمانى.

## ملك ميونخ

من الغريب أن كلمة «النازية» لم يكن مولدها على لسان «هتلر»، وإنما انطلقت عام ١٩٢٠ على ألسنة أصدقائه الخلصاء من الاشتراكيين الوطنيين. . فعُرفوا باسم: «النازيين». . فطالبوا باتحاد جميع الألمان فى دولة ألمانية مركزية، وإبطال معاهدات الصلح التى أجحفت بحق الألمان فى إعادة بناء وطنهم، وإرجاع المستعمرات الألمانية، وإلغاء حقوق اليهود الانتخابية، وتأسيس جيش وطنى،

وهيمنة الدولة على الأعمال التجارية الكبيرة، ورفضوا مبادئ المسالمة والنزعة العالمية والنظام الرأسمالى، مُغالاة فى الوطنية، وإصراراً على الوصول إلى القوة والسلطان.

أخذ الحزب النازى يزداد نمواً، كما ازداد «هتلر» ثقة بنفسه إلى حدٍّ الانفراد بالرأى واتخاذ القرار، فكوّن تحالفًا مع الجنرال «لودندورف» الذى كان يثير عند الناس دائمًا فكرة خوض حرب انتقامية. . فحدث عصيان طائش للاستيلاء على السلطة فى «ميونخ» والزحف على «برلين»، لكنه مالبث أن فشل بعد أن استولوا على دار البلدية، وزحفوا على مركز قيادة الجيش. . فأطلقت الشرطة النار عليهم، وانبطح «هتلر» على الأرض فأصيبت ذراعه برضوض، وفرّ صاحبه «جورنج» أما «لودندورف» الكهل فقد ثبت صامدًا حتى أُخذ أسيراً بين الإكبار والإعجاب.

وربما كان مثل هذا الحادث العابر يمرّ بلا ذكر أو ضجة، لولا مجىء جمهرة من الشباب الألمانى المتحمس إلى دار المحكمة، وصاحوا هاتفين باسم «هتلر» ملك ميونخ!!

ودخل هتلر سجن «لاندسبرج» ليقضى فيه سنة (٢٣ ـ ١٩٢٤)، ويؤلف كتابه المعروف «كفاحى» الذى أشرنا إليه آنفاً ونحن هنا لسنا فى موضع تقييم هذا الكتاب أو نقده، وإنما يهمنا هنا الاستشهاد بهذه الفقرة غير القصيرة لنستدل بها على فكرة ذلك الجبار العنيد. . قال:

«إن الثورات الكبرى التى شبت فى هذا العالم ما كانت لتقوم ـ أو

يمكن تصوّر قيامها ـ لو أن قوّتها الدافعة كانت ترتكز على فضيلتى السلام والنظام، هاتين الفضيلتين اللتين كثيراً ما تشيد الطبقة الوسطى بمزاياهما، فإن هذه الثورات كانت نتيجة الأهواء الجامحة ـ بل أقول: الأهواء الهستيرية التى ظهرت بها فى الواقع. ومع ذلك فإن عالمنا يسير صوب ثورة عظمى، وليس هناك سوى سؤال واحد هو موضع الخلاف، وهو: هل سيكون فى هذه الثورة خلاص الجنس الآرى؟ أو أنها ستكون مجرّد مورد آخر من موارد الربح لليهودى الدائم الأزلى؟ إنه ينبغى للدولة الوطنية الحقة أن تجعل واجبها ترقيه نظام صالح لتربية شبيبتها، بحيث يكون فى وسعها أن تربّى جنسًا أُعِدَّ لتولّى شئون هذا العالم الخطيرة واتخاذ القرارات النهائية. وستكون أول أمة تسلك هذا السبيل هى الأمة الظافرة الفاتحة. وإن صفة الدولة الوطنية الحقة، ونظم التعليم فيها، يجب أن تدور حول الثقافة العنصرية. وينبغى أن توجه إليها أقصى العناية. فيجب أن ينقش فى الصدور معنى العنصرية والشعور الجنسى فى قلوب وأذهان الذين يُعهد إليهم تهذيب الشبيبة وتثقيفها، وينبغى ألاَّ يسمح لصبىّ أو صبية أن يغادر المدرسة إلاّ إذا استوعب أدقّ المعارف عن روح نقاوة الجنس والأهمية البالغة لهذا الأمر».

يجوز لنا أن نتساءل ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين: لماذا كان كل ذلك الشحن العنصرى والتميز العرقى الذى خَطَّه

«هتلر» فى كتابه وكان تعبيرا عمّا يكمن فى أفئدة ملايين فقراء أوروبا كهولاً وشباناً؟ هل طبيعة النفس البشرية التوّاقة للتعالى بالجذور والأصول؟ أم هى من جراء صدمات اقتصادية تزيد البسطاء فقراً وعوزاً؟ قد نرى بصائص من هؤلاء وأولئك تطل علينا من نوافذ القوميات الطموحة لإحياء أمجادها البائدة، كما نرى نُذُر أزمات مالية تضيّق الخناق على شعوب فى شتى أنحاء العالم، فيما عدا السبعة الكبار من دول العالم الصناعية!! تلك كانت حال دول أوربا عام ١٩١٩.

**هتلر ومعاهدة «فرساى»:**

عندما وَضَعَ المنتصرون شروط معاهدة «فرساى» سنة ١٩١٩، كان هدفهم الرئيسى إضعاف ألمانيا، بل إنْهاكها، بتجريدها من كل قواتها البرية وأساطيلها البحرية، وإحكام الحصار البحرى حولها، واقتطاع أقاليم من أراضيها كالألزاس، واللورين، والسّار.. وكان الجانب الاقتصادى من هذه المعاهدة أشدّ وطأة، وأثقل أعباءً وأسوأ آثاراً على جمهورية «فايمار» التى أنشأها المنتصرون على ألمانيا.. لقد فرضوا عليها دفع تعويضات للحلفاء عن الأضرار التى لحقت بهم بلغت رقماً (خياليًّا) أعجز قدرات أغنى أغنياء الدول فى العالم، ألا وهو أربعة وعشرون ألف مليون جنيه استرلينى!! فى حين أن مقدرة ألمانيا لا تزيد على ألفى مليون!!

من هنا بدأ الشعب الألمانى يتململ ولايئن، واندفع الشباب الألمانى يصيح ويحتجّ، ويثور مهدداً بالرفض للجمهورية الوليدة المغلوبة على أمرها.

ولما انتهى عام السجن الذى قضاه «هتلر» كان التضخم النقدى قد بلغت حدّته عام ١٩٢٣ مداها وبلغ غليان الشبيبة الألمانية درجة الانفجار.. وبالطبع لم تفت هذه الفرصة الزعيم الثورى إذ تلقفها «هتلر» ينفخ فيها بخطبه، ويذكى نارها فى نفوس مواطنيه على مدى أربعة عشر عامًا بلا توقف أو كلل، ليعيد الثقة إلى نفوس اليائسين، ويبعث روحًا من الإقدام والثورة فى قلوب الحائرين، فسيطر على الشارع وَدَهْمائه، وعزّزهم بكتائب مؤلفة من ذوى القمصان السمراء.. يجيدون الإرهاب بشتى صوره، ويثيرون الذعر بين الأثرياء الآمنين.. الذين لم يكن معظهم غير يهود أوروبا.

لم يَنْسَ «هتلر» الشاب أنه كان يطرق أصحاب الأعمال منهم ـ كسائر العاطلين من بنى وطنه ـ فلم يكن يجد منهم إلاّ إعراضاً.. فيزداد إصرارًا على ضرورة الانتقام وإصلاح كل هذه الظواهر الشاذة!! لابدّ إذَنْ من إيجاد أداة قوية بكل هذه الطاقة الشبابية، ولابدّ له من العون المالى للإنفاق عليها ووجّد ضالته فى رجال الصناعات الثقيلة من الألمان الذين أضيروا من الهزيمة ومعاهدات السلام المجحفة.. فحصل على تأييدهم، وإمداده بكل ما طلب من أموال، وكان فى مقدمتهم مدير مصانع كروب «هوجنبرج»

و«روهم». . وقد ظن الاثنان أنهما بأموالهما قد استمالا «هتلر» واشترياه، وأنهما ضمنا بذلك ازدهار الصناعة الثقيلة بعد العودة إلى التسلح، لكن «هتلر» لم يكن يهتم بصالح الممولين قدر اهتمامه بتسليح فرقة الصاعقة (S.A) والإنفاق على مرشحيه للريخستاج، الذين تزايد نجاحهم لعضويته حتى بلغ ممثلوه مائة وسبعة من الأعضاء النازيين. . وهكذا ارتقى «هتلر» إلى الثلاثة عشر مليونًا الذين أعطوه أصواتهم فى انتخابات الرياسة عام ١٩٣٢ . . فكان ترتيبه الثانى بعد الماريشال العجوز «هند نبرج». وعندئذ يحق لنا التأكد من أمرمهم هو: هل اعتمد «هتلر» فى نجاحه على التحامه بالجماهير البسيطة، ومن ثم إعراضه عن المثقفين الألمان الذين أداروا له ظهورهم. . ؟ أم أن النازية قد تضمنت مبادئ أعجبت العامة. ؟ فَلَوْ كان الجواب بالإيجاب لقلنا: إن الشيوعية والاشتراكية تضمنّتا مبادئ أكثر بريقًا وجاذبية للبسطاء. . فما وجه الجدّة التى انفردت بها النازية لانجذاب الشبيبة الألمانية إليها؟ . .

فى الحق إن فلسفة الزعيم النازى المتهوّر كانت قائمة على ماحَبَّذه الموسيقى الشهير «فاجنر»، والفيلسوف «نيتشه» من قبل الحرب العظمى. . أعنى أن الجنس عماد كل شىء، وأن روائع العالم المجيدة تمت جميعها على أيدى الجنس النوردى، وأن القوط الذين انحدروا من نفس هذا الجنس التيوتونى صنعوا لتقدم الحضارة أكثر مما صنعه الرومان.

ولذا نشأ هذا التعصب العنصرى الهتلرى ضد اليهود، فنادى بأنه لايصح ليهودى أن يكون مواطنا ألمانيًّا. . هذا وقد ارتاب «هتلر» فى وحى العهد القديم، فهو فى نظره مجموعة من أسفار اليهود. وهذه القضية لها بحوث كثيرة تدعّم هذا الزعم لترتفع إلى مرتبة البحوث التاريخية والتنقيبات العلمية.

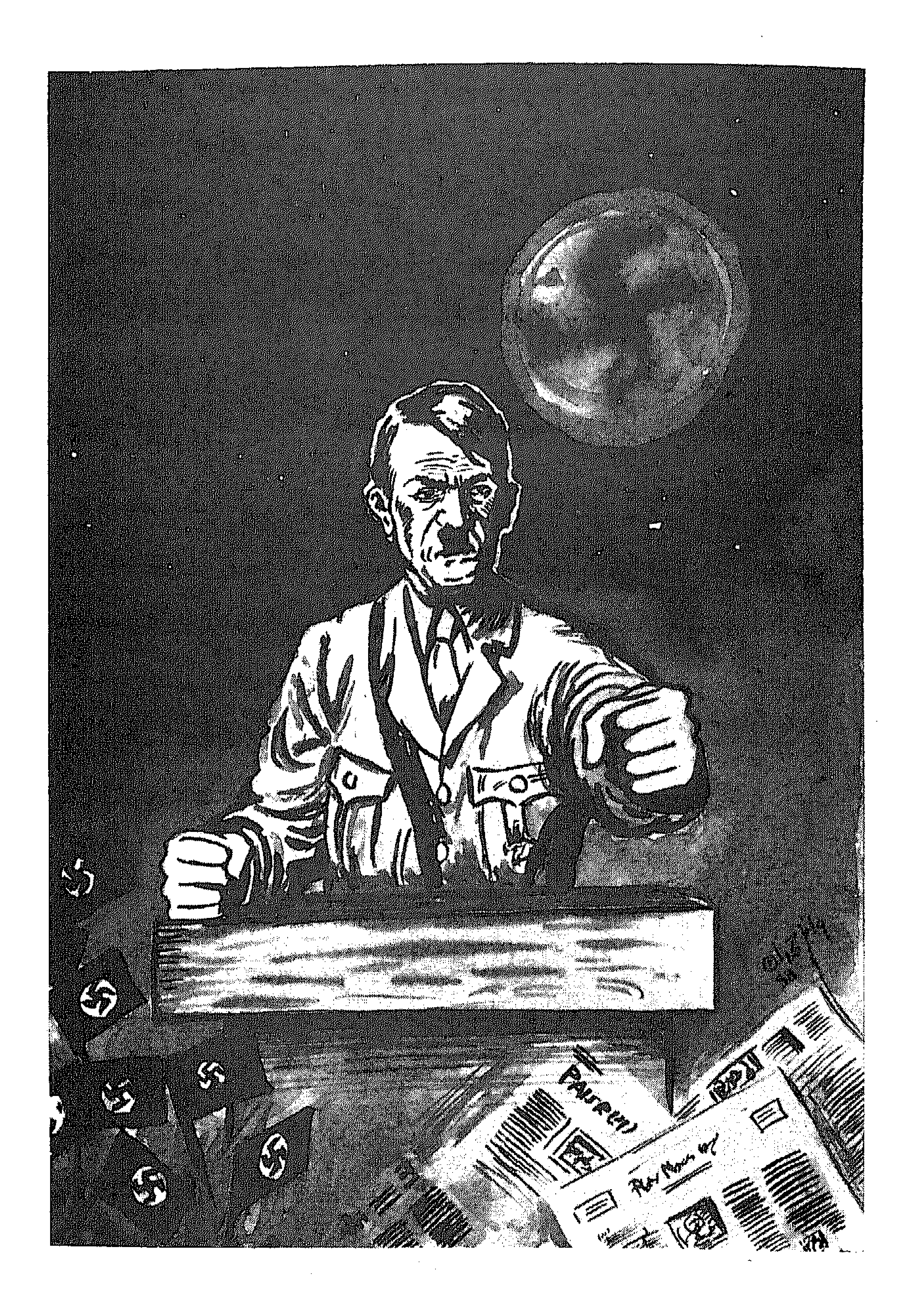
إن الجديد الذى تضمنته الحركة الاشتراكية الوطنية، أو ما يعرف بالنازية، هو إحلالها النظم المركزية محل النظام التعاهدى الذى ساد بعد الحرب، فأصبحت الروح العسكرية الألمانية ثابتة قوية بصفتها عقيدة دولة ديمقراطية، تسودها مبادئ المساواة. لتصبح دولة حربية جبارة. . فامتلأت نفوس أبنائها بعنجهية العسكرية البروسية، ومع ذلك فإن مبدأ المساواة الديمقراطية لم يقنع «هتلر» بالالتزام به أو اتباعه، فاستعاض عنه بنظرية أن يكون غاية الفرد هى زيادة قوة الدولة المادية إلى أقصى حد ممكن. وأن تكون وظيفة المرأة الأولى هى أن تنجب للدولة رجالا أصِحَّاء يحاربون من أجلها. . وأن تكون أسمى الفضائل هى البطولة المتجلّية فى مواجهة أهوال الحرب ومنازلة الأعداء وفى كلمة واحدة تركز الجديد والغريب فى النازية، الجمع بين أشد درجات الحيوية والحماس والجدّ، وبين أعظم ألوان الخضوع والنظام والعواطف الجياشة.

## الوصول إلى السلطة:

ونعود إلى «هتلر» ذلك الزعيم الذى صار ثانى اثنين فى قيادة ألمانيا وإلى «هند نبرج» العجوز، ذلك الماريشال الذى بلغ الخامسة والثمانين عامًا.. لقد اضطر «هند نبرج» إلى تعيين «هتلر» الذى لم يكن قد زاد عن رتبة «جاويش» أو حتى ضابط تعليم فى الجيش - يضطر الماريشال العجوز إلى تعيينه مستشاراً إمبراطوريًّا للدولة عام ١٩٣٣.

وبدأ خلصاء الزعيم «هتلر» فى ترسيخ قدميه بأعمال تخريبية خفية يلصقونها بالشيوعيين.. مثل إحراق الريخستاج، مما هيّج الشبيبة عليهم وعلى اليهود، فصدر قرار بإلغاء نقابات العمال وبنوك العمال، وفرّ واحد وثمانون نائباً شيوعيًّا إلى الخارج بغية النجاة.. فألغى الريخستاج عضويتهم، وخلا المجال لأغلبية «هتلر» النازية.

ثم استدار «هتلر» على فرقة الصاعقة التى كان قد ألفها أيام نَزْع سلاح ألمانيا، وضَحَّى بها فألغاها، مستجيباً لأوامر الجيش النظامى، بل لم يكتف بتسريح رجالها، وإنما قبض على خلصائه من زعمائها أمثال «روهم» و«شتراسر» والجنرال «شليخر» وزوجته.. وغيرهم من الزعماء المخلصين.. واغتالهم فى حمام دم بشع عام ١٩٣٤ فى آخر يونيه فبلغ عددهم ١٢٠٠ فرد.. وهكذا بدأت النزعة



الاستبدادية تظهر وتسيطر على أفعاله ويوجه ضرباته بعنف لكل من يخالفه، ولم يسلم من ذلك أقرب المقربين إليه. لم يعد «هتلر» زعيماً للشعب الألمانى فحسب، ولم يعد ملك ميونيخ الذى بشرت هتافات الشباب بمجيئه.. ملكاً عليها فحسب، بل صار الدكتاتور الجديد لألمانيا كلها، والذى سيقودها إلى ساحات الحرب ومهاوى الدمار.

## شعار النازى:

اتخذ هتلر لحزبه النازى شعاراً هندىّ الأصْل - من فنها الشرقى القديم - ألا وهو الصليب المعقوف، ذو اللون الأحمر كوهج الشمس، ويرمز إلى الاستبشار والتفاؤل بمستقبل ألمانيا الجديدة الموحدة، والمستعيدة لقوتها وأمجادها.. كما استعار من الإيطاليين الفاشيين تحيّتهم برفع الزراع بدرجة واسعة، تقليداً لرابطة المحاربين القدماء، لتكسب أعضاء الحزب النازى هيبة.. كما وافق على إلحاق أعضاء جدد من المرموقين فى الساحة العسكرية وميدان السياسية العملية.. لترجيح كفة الحزب أمام سائر المترددين وأدعياء الثقافة.. فانضم إليه الطيار الماهر «هيرمان جورتنج»، الذى كان قائد سرب طائرات حربية، وصار فى السرية الجويّة الانتحارية.. ولم يكن انضمامه إلا بناء على استماعه لهتلر فى إحدى خطبه، فسحره أسلوبه، وقصده كالمخدّر ليعلن انضواءه تحت رايته.. خاصة أنه وَجَدَ هواه مماثلاً له فى كرهه للشيوعيين واليهود.. كما سبق فى

الانضمام إليه ذلك الضابط الشهير باسم «الفأر البنى»، ألا وهو «رودلف هيس» الذى قَبِلَ أن يكون سكَرتيراً لهتلر، ويبقى معه كظله حتى آخر نفس له قبل تكليفه بالسفر إلى لندن فى مهمة غامضة.

وغير هؤلاء كثيرون انضموا بأعداد أخذت فى التزايد، لكن الملاحظ أن معظمهم كانوا من العسكريين.. حتى صار الحزب أشبه بالحزب العسكرى الذى يدق رجاله الأرض بأقدامهم الثقيلة تمهيداً للسير خطوات فى اتجاه الانتفاضات العنيفة.

**المنقذ المتحدِّى:**

سار هتلر قُدُمًا - وقد انتفخ ثقة بنفسه وغروراً - لإنقاذ ألمانيا وحَلِّ مشكلاتها، ولما كان لايؤمن بشىء غير العمل والفعل، فقد وضع نُصب عينيه تبديد قيود معاهدة فرساى المجحفة والعمل على التخلص منها، ولم يَدَعْ أى فرصة - منذ أن تولى مقاليد الحكم - تمر دون اغتنامها فى سبيل إلغاء هذه المعاهدة. وكانت أول خطوات التحدى أنه.. جعل التجنيد إجباريـًّا على كل شاب يصل إلى السنّ المحدد.. فماذا كان صدى ذلك عند إنجلترا وفرنسا والروسيا والولايات المتحدة الأمريكية؟ للإجابة على ذلك علينا أن نتابع نشاط جهاز «هتلر» الدبلوماسى وانصاراته. وقد يبدو غريبًا على رجل ينهج سبيل القوة والعنف فى حلِّ أموره أن يلجأ إلى اللين والدبلوماسية.

لقد كان تضارب المصالح بين إنجلترا وفرنسا بعد الحرب، واختلافهما فى سياستهما حول بعض المسائل.. مشجعا لهتلر على

استغلال هذا الانشقاق، وتحقيق أغراضه. وعندما حلّ موعد إجراء استفتاء أهل مقاطعة «لسار» فى ١٣ مايو سنة ١٩٣٥ بعودة هذا الإقليم - إقليم «السار» الغنى بالفحم - إلى الرايخ الألمانى.. طبقا لمعاهدة «فرساى»، أسفرت النتيجة عن تسعين بالمائة تؤيد عودة هذا الإقليم إلى أحضان الوطن الألمانى... وعندما أعاد هتلر نظام التجنيد الإجبارى العام، وأنشأ قوة جوية، وأقام المصانع الضخمة لإنتاج الأسلحة والطائرات الحربية على نطاق كبير - مخالفاً بذلك أحكام المعاهدة - كان يعتمد فى هذا على ذلك الخلاف بين نظرة إنجلترا ونظرة فرنسا إليه.. فالأولى لم تَرَ فى تصرّفه مايقلق، لأنها رأت ضرورة ملء الفراغ الناجم عن المعاهدة، ولايتسنى هذا إلاّ باستعادة ألمانيا لقّوتها كعضو أوروبى طبيعى له وزنه.. وأدرك الجهاز الدبلوماسى النشط لهتلر هذا الاتجاه البريطانى، فضرب ضربته السياسية دون اعتراض من الإنجليز. أما فرنسا فكانت على النقيض، واعتبرت إغماض إنجلترا تخلياً عن أحكام المعاهدة وأهدافها، وخيانه لها.. فسارعت بعقد معاهدة ثنائية بينها وبين الاتحاد السوفيتى، لحصر ألمانيا بين شقّى الرحى.

وكان ردّ «هتلر» أن ازداد قرباً من إنجلترا، وأفلح جهازه الدبلوماسى فى عقد معاهدة بحرية معها فى ١٨ يونيو سنة١٩٣٥، وافقت بها إنجلترا على أن تبنى ألمانيا قوة بحرية فى حدود ٣٥٪ من قوة الأسطول الإنجليزى، فضلا عن عدد الغواصات الجديدة وحمولة

كل منها، فاستطاع بذلك أن يكسر نطاق الحصار الفرنسى السوفيتى لها.

ومن اللافت للنظر ما فعله «هتلر» مع إيطاليا، التى كانت متورطة فى حرب مع الحبشة، فأعلن تأييده لها ولموسولينى وبهذا اعترف «هتلر» بسيادة إيطاليا على الحبشة، مما دفع موسولينى إلى الارتماء فى أحضان ألمانيا باعتبارها الدولة الوحيدة التى شجعت مسلكه ضد الحبشة .!! وشجع هذا «هتلر» على تحديه لقرارات عصبة الأمم، وعدم التزامه بالمعاهدات والقانون الدولى إذا ماتعارضت مع مصالح بلده، وذلك بعد أن اكتسب حليفًا يقوّى جانبه.

وتمادى «هتلر» فى تحدّيه لفرنسا، فأعلن اعتزامه تحصين أراضى الراين، بعد أن كانت معاهدة «فرساى» قد جردتها من السلاح تأميناً لحدودها، واقتحم بجنوده المنطقة، متأكدًا من عجز فرنسا عن محاربته وحدها، وأيضًا لتأكده من تقاعس إنجلترا عن مساندة فرنسا فى منعه بالقوة.. وبنفس النهج المتحدى، واصل «هتلر» تأييد «فرانكو» فى أسبانيا ضد الشيوعيين، وإمداده بالسلاح والعتاد حتى انتصر.

نلمس من هذا أن دبلوماسية الزعيم الألمانى كانت تعتمد على استغلال المواقف والتوازنات الدقيقة بين الدول العظمى، وعلى حقيقة ماثلة فى المجتمع الدولى، وهى إنهاك الدول فى حرب ضروس، لاتكفى السنوات العشر التى تلتها لاستعادة أنفاسها..

خاصة أن الأزمة الاقتصادية التى اجتاحت العالم قد زادت من إنهاك دوله. أمّا هو فقد وثق ثقة لانظير لها فُى حيوية شعبه الألمانى ومقدرته، وأن هذه الأزمات ستزيده صلابة وتُقيلُه من عثرته، بفضل قيادته الحازمة له.

وصحّ ظنُّ الزعيم النازى.. وشرع فى طَرْق الحديد وهو ساخن ـ خارجيًّا وداخليًّا فى الوقت نفسه ـ ففى الداخل رأى ضرورة دعم الأمن بتشكيل جهاز جديد يوازن سطوة منظمة الحزب النازى (S.A) التى استفحل أمرها وبلغ عدد أفرادها أربعة ملايين فجاء بهيملر.. ذلك الضابط الشاب الشديد الحماسة والإخلاص لسيده الزعيم، ووضعه على رأس مفرزة الحرس القائمة على حماية «هتلر» شخصيًّا، وأطلق عليها حرفَى (S.S) وهى ذات زىّ أسود موحّد، ووضع لها الجمجمة شعارًا، كما زاد من صلاحياتها الأمنية، وصارت تقوم بالاستخبارات وأعمال الجستابو الشهير.

وأطلق «هتلر» لقائد الجستابو يده فى البطش.. فاتّسمت أعمال «هيملر» المتعطش للدماء بالقسوة البالغة، وكان يفخر بالاسم الذى خلعه زعيمه «الجزّار»!! ثم أسند إليه مهمة تصفية اليهود جسديًّا.. فلم يُضع «هيملر» ـ وأعوانه ـ الوقت دون استغلاله فى أداء ماكُلِّف به.. وهذا الأمر يتطلب منا توضيحا لموقف الطرفين: «هتْلر» و«الصهيونية».

## اتفاقية الهعفرا (عام ١٩٣٣) :

كانت العلاقة بين الحزب النازى واليهودية الدولية ودّية فى البدء، لتطابق مصلحتيهما . . لقد ساد اعتقاد «هتلر» ووزارة خارجيته أن هذا القطاع من اليهود ـ وفى مقدمتهم الصهاينة ـ يرفضون الاندماج فى المجتمع الألمانى، ويتمنون مجىء اليوم الذى يروْن فيه توحيد جميع اليهود فى وطن قومىٍّ . . وهو نفس الهدف الفعلى الذى تسعى إليه السياسة الألمانية تجاههم، ولهذا رحّب «هتلر» بتنفيذ هذه الرغبة . . لكن تنظيمات الرايخ الثالث لم تُقِمْ أى علاقات عمل طيّبة مع أىٍّ من الجماعات اليهودية، فيما عدا الصهاينة . . ولما كانت قوانين العملة الأجنبية فى ألمانيا تحدّ من تصدير الأموال الأجنبية إلى خارجها، فقد أدى هذا إلى أن يُضطر كل مَنْ فى مقدوره ترك الرايخ إلى ترك معظم أمواله . وهكذا سقط كثيرون فى الفخ مع أوائل عام ١٩٣٣ . . فالثرى اليهودى الذى كان يحصل على تأشيرة خروج من القنصليات الأجنبية، كان يتردد فى الخروج تاركاً وراءه معظم أمواله، أمَّا الفقراء منهم فلم يكن لديهم مايخشون تركه، ولا ما يستطيعون دفعه ليحصلوا علىّ تأشيرة الخروج .

ومع ذلك فقد وافق «هتلر» على السماح لكل يهودى مهاجر أن يحمل معه ألف جنيه استرلينى، إذا ما كانت فلسطين مقصده . كذلك حددت سلطة الانتداب الإنجليزى فى فلسطين للمهاجر

الرأسمالى اليهودى أن يكون ممتلكاً نفس القدر من الجنيهات الإسترلينية حتى تسمح له بدخول فلسطين.

ومع ذلك فقد ظلّت المشكلة قائمة.. فقد بقى نصف مليون ثرى يهودى يؤجلون رحيلهم عن ألمانيا مرات عديدة لعدم استطاعتهم أخذ كل ما يمتلكونه.

هذه المشكلة المستحكمة ألهمت اليهودى «سام كوهين»، مدير شركة «هانوتيا».. بفكرة رائعة، أدى تنفيذها إلى توقيع اتفاقية «الهعفْرا». وهى كلمة عبرية تعنى «التحويل».. وهى فضلا عن أنها اسم للإتفاقية وتتجدد دوريّـــا، فهى أيضاً اسم لشركة ـ ائتمانية مقرها الرئيسى فى فلسطين، وفرع ممثل لها فى «برلين» يسمى بالْتريو». فكان لها ردود فعل سياسية أكثر من نتائجها الاقتصادية. فإن هذه الاتفاقية قد نصت على ترحيل حوالى أربعة ملايين يهودى من وسط أوروبا إلى فلسطين، وتم التوصّل بشكل نهائى إلى اتفاقية سرّية بين «هتلر» و«روزفلت» تسمى مذكرة روبلى فولفات «فبراير ١٩٢٩»، يسمح بمقتضاها لليهود بمغادرة ألمانيا إلى فلسطين بشرط ـ وهذا هو لبّ الصفقة ـ أن تسعى الجاليات اليهودية فى جميع أنحاء العالم إلى ترويج الصادرات الألمانية، ذلك لأن تلك الجاليات قد

شنت حملة ناجحة لمقاطعة هذه الصادرات فى الأسواق العالمية، وزيادة على ذلك وافقت «برلين» على رَدِّ قرض صهيونى يصل إلى بليون ونصف بليون مارك بفائدة ٤٪.

وبرغم تهديدات قرب نشوب الحرب العالمية، لم يتوقف التعاون الهتلرى الصهيونى، فكان يقيم ببرلين ممثلان من وكالة القدس بصفة دائمة لتنظيم قوافل اليهود المهاجرة، تحت حماية «الجستابو».

كما أن اعتبارا آخر تجاذب السياسة الألمانية الهتلرية، ألا وهو التقارب بينها وبين آمال الدول العربية الرافضة لاقتطاع فلسطين من كيانها، ومن ثم تراوحت السياسة والاقتصاد الألمانيين بين التخلص من يهودها بتهجيرهم إلى فلسطين وبناء المستوطنات لهم فيها من فائض أرصدتهم المحجوزة لدى الرايخ، وبين كف أيديها بإعادة النظر فى اتفاقية «الهَعْفَرَا» تمهيدا لإتفاقها أو إلغائها استرضاءً للعرب.

ومع ذلك فقد ظلّت الهجرة من ألمانيا إلى فلسطين مستمرة آليًّا. فأسَّسَ الصهاينة شركة النقل الخاصة بهم باسم الشركة الفلسطينية للنقل البحرى، فقامت بشراء سفينة الركاب الألمانية «هوهنشتين» وأعادت تسميتها باسم «تل أبيب»، وكانت أول رحلة لها من ميناء «بريمرهافن» الألمانى إلى حيفا فى أول عام ١٩٣٥.. ويرفرف عليها الصليب المعقوف.

ولما استقرت السياسة الخارجية الهتلرية إلى رفض مبدأ إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين عام ١٩٣٧، بدأ قسم الشئون اليهودية فيها اتخاذ إجراء لإلغاء هذه الاتفاقية التى لم تكن لتقوم إلا لشراء آلات ومصانع وأسلحة من تشيكوسلوفاكيا السابقة بأموال تسدد بتحويل قيمتها على الأرصدة اليهودية المحجوزة فى الخزانة الألمانية.

ولما طرح هذا الإلغاء على الزعيم الألمانى قرر كتابةً: «ليس مطروحاً حَلّ المشكلة التى تسببها اتفاقية «الهعفرا» عن طريق اتخاذ إجراءات تمنع فى المستقبل اليهود من الهجرة إلى فلسطين. وعلى ضوء هذا بحثت وزارة الداخلية الألمانية وقسم الشئون اليهودية فى وضع خطة جديدة تستهدف الاحتفاظ باليهود الأثرياء فى ألمانيا وطرد الآخرين. وعندئذ تنتهى اتفاقية «الهَعْفَرا» تلقائيًّـا عندما لم يعد هناك ثرى يهودى يريد الهجرة.. ومن ثم يصبح هذا نجاحاً للرايخ.

واستمر العمل ساريًا بهذه الاتفاقية.. وازدادت المبالغ المحوّلة إلى فلسطين حتى بلغت سنة ١٩٣٩ حوالى ٢٧ مليون مارك.. كما غادر خمسون ألف يهودى ألمانيا الهتلرية إلى فلسطين.. هذه هى حقيقة العلاقة بين الصهيونية والنازية الألمانية.. تلك التى يحاول الصهاينة حجبها الآن، لكن لامراء أنها علاقة أكدت أن «هتلر» كان وظَلّ

الضامن الوحيد لتمويلات «الهعفرا» التى لم تتوقف إلاّ عام ١٩٤١.. أى بعد عامين من نشوب الحرب العالمية الثانية.. إذن فما الذى سوّأ هذه الصلة العملية وأوْهنها، وجعل الإسرائيليين الآن يكتمونها ولايسمحون لأحد بالإطلاع عليها؟

ربما لأنها إدانة بالتعاون الوثيق بين الطرفين ـ النازية والصهيونية ـ فى مرحلة هامة من مراحل الغزوين لأوروبا كلها، ولفلسطين العربية!!

إذن فما الذى جعل «هتلر» يقلب ظَهْر المجن على اليهود؟، وما الذى جعل الدعاية الصهيونية تنشط فى استعداء الحلفاء على حليفها النازى، وفى استدرار عطف شعوب العالم على ضحاياهم المحروقين فى أفران النازية؟! إننا هنا لسنا بصدد الدفاع عن جرائم «هتلر» الوحشية ضد اليهود عامة، والفقراء منهم على وجه الخصوص، وإنما نذكر هذا إحقاقاً للحق.. إن المجنى عليه قد يكون متورطاً مع الجانى فى ارتكابه لجريمته بل إن المجنى عليهم من اليهود لم تكن لتقتصر جرائمهم على الاستغلال المالى والمصرفى.. وإنما ثبت عليهم أنهم كان يأتون بالسود والزنوج لتشغليهم لديهم بالأجور الزهيدة.. ولذلك اتهمهم «هتلر» صراحة فقال:

«كان اليهودى يبذل جهده ليعتدى على الفتيات والنسوة، لتحطيم حدود التمييز بينه وبين الناس. كما أن اليهود هم المسئولون عن إحضار الزنوج إلى أرض الراين ليحطُّوا من شأن العِرْق الأبيض، هذا العرق الذى يكرهه اليهود، وبهذا العمل يحطون من المستوى الثقافى والسياسى للبيض وبذلك يمكن للعِرْق اليهودى أن يسود».

## التطهير العِرْقى للجنس الألمانى:

وفضلاً عمّا فى هذه الكلمات من تعصّب عنصرى مقيت لدى «هتلر» والنازية، لم تعد تقبله المجتمعات المعاصرة، ولا التطوّر المتجدد، فإن «هتلر» كان بمقياس عصره يكافح من أجل تنقية الجنس الألمانى من كل الشوائب العرقية والعاهات الموروثة.. مما دفعه إلى تنفيذ «التطهير العرقى» لأبناء وطنه من العناصر العرقية المتدنّية!! وكان «هتلر» يُعبّر عن هذا بعبارة «التعقيم الطبى».. حتى لاينسل البلهاء وذووالعاهات أنسالا تحطّ من طاقة شعبه الممتاز وقدره!! ولا عجب أن تكون هذه دعوة من جبّار عنيف، لايعترف بمبادئ إنسانية أو أى حقوق ينعم بها سائر أبناء البشر.. ولهذا كانت أولى خطوات التطهير لديه ـ وهو رئيس وزراء عام ١٩٣٣ ـ حرمان اليهود من حق التصويت.. فكان هذا وفاءً بالوعد الذى باح به لأحد أصدقائه القلائل عام ١٩٢٢.. حين قال: «سيكون القضاء على اليهود أول عمل هام لى عندما أتسلم السلطة فعليًّا فى ألمانيا، وسأنصب المشانق بقدر ما تتسع الطرقات لها، ثم أقوم بشنقهم، ويبقون معلّقين على هذه المشانق حتى تفوح رائحة جثثهم».

وتلا الخطوة الأولى خطوات، كان من أهمها منع زواج الألمان من اليهود أو التعامل معهم. كما تم تصنيف اليهود، فاعتبرهم قانون الرايخ موالى أو تابعين بعد أن كانوا مواطنين.. وكذلك أحرقت علناً توراة اليهود بأسفارها. ومع ذلك بقى يهود ألمانيا يعتقدون فى حتمية زوال نظام «هتلر».. حتى فوجئوا. بحادث ارتكبه شاب يهودى فى باريس، إذا اغتال دپلوماسيّـًا فيها، وهنا قامت قيامة اليهود فى سائر أنحاء المدن الألمانية، إذ شَبَّتْ مظاهرات احتجاج ضدهم فى شتى الأقاليم الألمانية، فدمّرت المنازل ونهبت المحالّ التجارية، كما أُحرقت المعابد اليهودية، وقُتل كثيرون من اليهود.. وظلّت تلك الليلة عالقة بالأذهان باسم ليلة الكريستال أو الزجاج المبعثر المحطم فى الشوارع.

أشارت أصابع الاتهام إلى «جوبلز» سكرتير «هتلر» كمدبّر لهذه العمليات الانتقامية التى استمّرت يومين.. ولم تحّرك الشرطة الألمانية ساكناً، اللّهُم إلاّ توجيه الجموع الساخطة إلى بؤر الاضطربات.. وكان كل ما أسفرت عنه هذه العمليات من تخريبات حوالى ٤١٨ محلا تجاريـًا، و١٧١ منزلا، و١٩١ معبدًا يهوديـًّا، وقتل ١٩٠ فردًا. ثم زادت الشرطة على ذلك أن ألقت القبض على عشرين ألفًا من اليهود بعد اللّيْلتين.. وحددت قرى ليقيم فيها الباقى من اليهود فعرفت هذه القرى باسم الأحياء اليهودية «الجيتو».

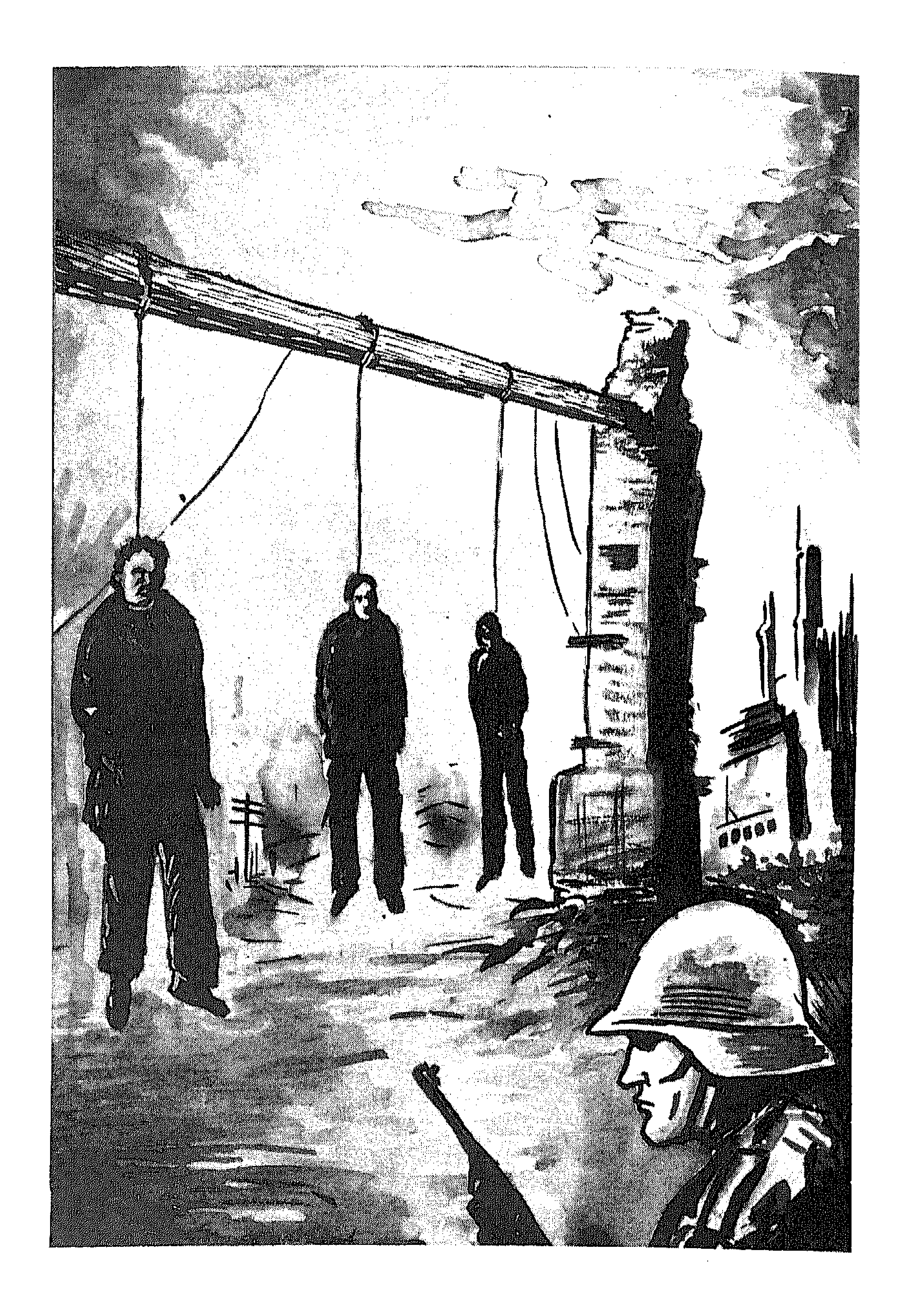
وأخذ نطاق القتل المنظم فى الاتساع بعد عام ١٩٤١ حين غزت ألمانيا الاتحاد السوفيتى. لقد رأى «هتلر» ضرورة ملحّة للقيام بهذا الغزو، لكنه رأى أيضاً ضرورة أكثر لتنفيذ عملية الحلّ النهائى للتخلص من اليهود قبل الغزو.. فأعطى تعليماته المشدّدة إلى كلّ من «هيملر» قائد الجستابو، و«هيدرج» قائد الخدمات السرّية الألمانية. فتشكلت وحدات ضمت آلافاً من الجنود التابعين لقوات (S.S) باسم «الواحدات القتالية الخاصة».

## الأفران ومعسكرات الموت

إن القتل الجماعى الذى اقترن باسم «هتلر» السَّفَّاح لم يكن مقتصراً على اليهود وحدهم، وإنما تعدَّاهم إلى جماعات الغجر، والكاثوليكيين، والشيوعيين، والمنشقين السياسيين كذلك، ذلك لأن أولئك كانوا فى نظره من الأصول المنحطة.

لذلك صُمّمت المعسكرات مصاحبة للاجتياح الألمانى لوسط وشرق أوروبا، وكان أكثر هذه المعسكرات يضمّ حفرة كبيرة محكمة ليُلْقَى فيها الضحايا، ثم تُطلق عليهم الغازات السامة ليموتوا خنقًا! وكان من أشهرها معسكرات لوبلين، وسوبيبود، وتريبلنيكا.. حيث التهمت أفرانها أعداداً كبيرة من المسنّين والنسوة والأطفال الضعفاء الذين يعجزون عن أداء الأعمال المجهدة.. ولم يستثنوا من ذلك أحداً.

ومن المؤسف أن عملية الإبادة الجماعية صارت مهنة نازية، فقد



حول «هتلر» هذه المعسكرات إلى مصانع للصابون من جثث القتلى، وصُمّم خُطّاف حديدى لفتح أفواه الموتى وانتزاع الاسنان الذهبية منها، وماكينات لجزّ شعر النساء القتيلات، وصنع صنادل لطواقم الغواصات منها. كما ابتكرت حمامات الدّش فى معسكر «داخو»، حيث يحشد السجناء فيها، وتفتح عليهم من ثقوب فى السقف الغازات السامة، وتنقل جثثهم بعد موتهم خنقـًـا إلى أفران مجاورة لتحرق.

وقد بلغ عددُ اليهود الذين ألقى بهم «هتلر» ورجاله فى هذه الأفران مليونين ونصف المليون وإذا أضفنا إلى هذا الرقم ستمائة ألف يهودىّ روسىّ عند غزو «هتلر» للاتحاد السوفيتى، وحشدهم فى معسكر «بوخينفالد» وكذلك الأحياء اليهودية التى حاول أهلها التصدّى لآلة الحرب الهتلرية، فيتم حرقها عن آخرها بمن فيها، ووارسو شاهدة على هذا، وكذلك «بيرحين بيلسين»، لوجدنا أن أعداد الضحايا بلغت أربعة ملايين.

قد يدهش الإنسان ويتساءل متحيّرًا: هل يوجد كائن من الكائنات المنسوبة للبشر يرتكب كل هذه الأعمال الوحشية دون اهتزازِ أىٍّ عِرْق فى قلبه استرحامًا أو حُزنًا؟!!

من الغريب أن هذا السَّفاح النازى ـ هتلر يردّ علينا مبرّرًا فعلاته الهمجية بقوله: «أرى أننى أنفذ إرادة الخالق العلىٍّ القدير.. وما قيامى بصدٍّ اليهود وقتلهم إلاّ تنفيذًا لأمر الرّب»!!

ومن الغريب أن يدَّعى «هتلر» هذا، وكأنه من الموحَى إليهم بتعاليم إلهية!! ومن الثابت والمعروف عنه أنه لايعترف بوجود إله عزيز جبَّار منتقم!!

وأجابنا «مارتين بورمان» نائبه إجابة كاشفة عن حقيقة عقيدتهم فقال: «العروق البشرية فى أوروبا الشرقية مسخّرة لأجلنا، ولابدّ لهم من الموت فى الوقت الذى لانحتاجهم فيه، لأن قوّتهم غير مرغوب فيها، وثقافتهم خطيرة، لذلك فإننا سنترك لهم دينهم كوسيلة للتسلية والتَّلهِّى، ولن يتلقوّا منّا سوى مايبلّ ريقهم، لأننا نحن السادة، والأولوية لنا».

ولما فرغ «هتلر» من تحقيق كل تنظيماته الداخلية، وتدبيراته الشيطانية لتنقية الجنس الألمانى.. ووجد أنه نجح فى القضاء على البطالة بين الشباب، حتى تكاد نسبة وجودها أن تنعدم، والبنايات العملاقة قد علت لتطاول أهرامات الفراعنة، كما وجد شعبه الألمانى وقد قفز تعداده من خمسة وستين مليوناً إلى مائة وستة ملايين.. لأنه اعتبر أن النمساويين ألمانيّون باللغة الواحدة، وكذلك أقاليم فى تشيكوسلوفاكيا وسويسرا وپولندا يتحدث أهلها بالألمانية.. لذلك فإنه جعل من نفسه قائدًا مسئولا عن كل الناطقين بها، وعليه أن يوحِّدهم.

كما تطلع إلى المستعمرات الألمانية فى إفريقيا التى سُلبت من وطنه بعد هزيمته فى الحرب العظمى. . واعتزم استعادتها بشتى الطرق. . من هنا كان تأييده لموسولينى فى غزوه للحبشة، وكذلك رأى ضعف عصبة الأمم الواضح حين غزت اليابان الصين وتغلغلت فى منشوريا دون تحرّك من الدول الكبرى.

كل هذه التحولات جعلته يتطلع إلى خارج حدود الرايخ الثالث. . ويضمر فى نفسه أموراً يبهر بها العالم أجمع.

## العالم ينحدر مع هتلر إلى الحرب

انسحبت الولايات المتحدة الأمريكية من عصبة الأمم، عملاً بسياستها الحيادية، أو بالأصح المنعزلة عن العالم الذى يموج بالمشاكل، حتى رئيسها «فرانكلين روزفلت» عندما أفاق على خطورة النازية وأطماع «هتلر» وأراد إدخال تعديل على قانون الحياد رفض مجلس الشيوخ مشروعه، ولم يرحب به الشعب الأمريكى.

أما حكومتا بريطانيا وفرنسا. . فكانتا تدركان مدى هذه الخطورة، لكنهما كانتا أيضا تريان أن الشيوعية أخطر عليهما، وأن من محاسن النازية القضاء على الشيوعيين إذا انتصرت. . فلسوف تقضى على جميع اتحادات العمال والأحزاب الاشتراكية، وتخمد كل محاولة لمخالفة النظام، وخاصة أنهم يعتمدون فى مواردهم المالية على المساعدات المقدمة لهم من رجال الأعمال النشيطين.



ومن هذا نلمس تعاطفاً خفيًّا بين الدولتين الغربيتين الكبيرتين وبين النازية ولم يغب هذا بالطبع عن ذكاء «هتلر»، فاستغله فى تحقيق أطماعه الواسعة.

وعندما نتذكر أن فى عام ١٩٣٣ الذى استولى فيه «هتلر» على السلطة، قد انفض فيه المؤتمر الأخير لنزع السلاح بدون الوصول إلى أى قرار، وكذلك انهار المؤتمر العالمى لتثبيت التبادلات التجارية، ثم خرجت ألمانيا هى الأخرى من عصبة الأمم بإرادتها، وبالتالى خلّص «هتلر» بلاده من القيود الدولية، ليطلق يده فى تنفيذ ما يدبرّ لجيرانه.

**ضمّ النمسا لألمانيا:**

فى مارس سنة ١٩٣٨ ألقى رئيس وزراء بريطانيا خطاباً فى عصبة الأمم يعترف فيه «بأن عصبة الأمم ـ كما تتألف اليوم ـ عاجزة عن تدبير الضمان الجماعى لأى عضو من أعضائها.. لذلك ينبغى ألا نخدع الأمم الصغيرة الضعيفة فى الاعتقاد بأن عصبة الأمم تستطيع أن تحميها من الاعتداء».

بعد هذا الاعتراف بالعجز كان طبيعيًّا أن يتحرك «هتلر» لتنفيذ برنامجه بضم النمسا إلى الرايخ الألمانى الثالث.. فالنمسا دولة صغيرة مستضعفة، وغالبية شعبها من الجنس الجرمانى، لكنها تتمتع أيضًا بمركز استراتيجى هام فى طريق ألمانيا إلى إيطاليا وتشيكوسلوفاكيا.. فأنفذ «هتلر» قواته المسلحة إلى النمسا، هذا فى



الوقت الذى عمل فيه طابوره الخامس على السيطرة على قوات الجيش والشرطة النمسوية. وأعلن بعد يومين اتحاد النمسا وألمانيا رسميـًا، بدون أن يطلق رصاصة واحدة. وبهذا ضم سبعة ملايين نسمة إلى الرايخ، وطوّق جناح تشيكوسلوفاكيا، ولم يعد يفصله عن إيطاليا الفاشية غير ممرّ برنر، كما أقام حاجزًا فعّالابين روسيا وفرنسا..

وبرغم هذا فإن جبروت «هتلر» لم يتخل عنه.. فبدأ حملة مذابح وسجن لليهود النمسويين، كما سجن الدكتاتور النمسوى الكاثوليكى «شوشنج».. ولم ترغب أى دولة كبرى فى التدخل لمنع أطماعه.

**احتلال تشيكوسلوفاكيا:**

أعلن «هتلر» أن الظلم الواقع على الألمان فيها أصبح لايطاق، ولاحت بوادر الحرب، لكن بريطانيا بادرت بعقد مؤتمر رباعى فى ميونيخ جمعها مع ألمانيا وإيطاليا وفرنسا التى كانت مرتبطة بمعاهدات مع تشيكوسلوفاكيا.. وأجبرها المؤتمر على التخلى عن مناطق التخوم لألمانيا، ففقدت الدولة التشيكية قدرتها على الدفاع عن نفسها، وأعلن هتلر ـ كعادته بعد كل اعتداء ـ بياناً يؤكد فيه مقاصده السلمية وعدم رغبته فى أى مطالب أخرى. كما قدّم الروس كعادتهم مقترحات بضرورة التشاور لإيقاف التقدم النازى.. فلا تلقى آذاناً صاغية، أو أى اهتمام.. ولم تمض أربعة أشهر حتى احتل النازيون تشيكوسلوفاكيا كلها دون أدنى اعتراض أحد.. وهكذا استخلص

هذه الدولة الصناعية الصغيرة على مرحلتين: الأولى لحماية ثلاثة ملايين ونصف مليون ألمانى فى إقليم السوديت من المظالم، والثانية للانتقام ممن أوقعوا المظالم على بنى جلدتهم.. بعد أن استغلّ الشقاق المتزايد بين الإقليمين الرئيسيين للدولة: تشيك، وسلوفاكيا.. وطلبت الثانية حماية ألمانيا لها.. فبادر بالاستجابة، واضطر رئيس الجمهورية التشيكية إلى الاستقالة لرفضه إقصاء اليهود عن مناصبهم.. وهكذا دخلت الجمهورية كلها فى حوزة الزعيم النازى «هتلر».. وانمحت من الوجود، فاحتجّتَ الدول الأربع الكبرى على مافعله «هتلر»، ولم يهتز صاحبنا لهذه الحركات المسرحية لكن احتجاجهم كان مؤشراً ونذيراً لما سوف يلى من أحداث.

**الرّد البطيء من الحلفاء:**

أصدرت الدولتان الكُبريان تصريحاً يؤكد على تقديم كل الإغاثات المطلوبة لليونان فى حالة الاعتداء عليه، وتقديم هذا العرض إلى رومانيا أيضاً.. وكانت الدولتان قد أصدرتا بياناً مماثلاً لحماية الحكومة اليولندية. كما فتحت الدولتان باب المفاوضات مع روسيا وبولندا وتركيا واليونان ورومانيا «لعقد اتفاق ودّى بلقانى»، وفرضت بريطانيا التجنيد الاجبارى فانتهزها «هتلر» المتنمّر لكل ما حوله.. فاعتبر هذا القرار عملاً عدائيًّا ضدّ ألمانيا، وأعلن فى اليوم التالى عدم التزامه بالاتفاقية البحرية التى أبرمت بينهما.

ثم شرع فى القيام بهوايته، وهى مداعبة فريسته ـ مثل القط والفأر

ـ قبل التهامها. . فوجّه إلى بولندا حملة دعائية عمادها الشكوى من الإرهاب الذى تذيقه بولندا للأقلية الألمانية التى تقيم فيها، وعزفت الصحف الألمانية نغمة إنقاذ الأقلية من الجوْر البولندى. ثم أتبع «هتلر» ذلك بتقديم طلب إعادة مدينة «دانتزج» الحرّة وجزءٍ كبير من الممر البولندى إلى ألمانيا. وزاد مغالطته اعتبار تصريح بريطانيا بضمان سلامة بولندا تهديداً للسلام الأوروبى كله!! وتمادى فى تهديداته ومغالطاته بحرب أعصاب رهيبة، وبالويل لكل من لا يرضخ لمطالبه، ثم حاول مساومة بريطانيا لإطلاق يده فى بولندا، وكان يستهدف بالطبع تحقيق أكبر قدر من أطماعه بأقل قَدْرٍ من الخسائر. . ولمّا لم يفلح فى تهميش دور بريطانيا كشف عن أنيابه المسعورة لبولندا.

لكنه نجح فى مباغته العالم بتحوّل خطير، فوقعّ معاهدة عدم اعتداء مع روسيا عام ١٩٣٩، وصنع بذلك الدبلوماسيات الإنجليزية والفرنسية التى حاولت استمالة روسيا إلى جانبهما. . بل حوت هذه المعاهدة ملحقًا سريًّـا حُدِّد فيه نفوذ كل من روسيا وألمانيا فى دويلات البلطيق وبولندا وبسارابيا. وكذلك عقد «هتلر» معاهدة مماثلة مع إيطاليا. فضمن بذلك كل تأييد سياسى ودبلوماسى وعسكرى إذا وقعت الحرب.



ولجأت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والبابا إلى مناشدة رئيسى إيطاليا وبولندا بالتمسك بأهداب السلام، وإلى ملاينة «هتلر» لتسوية الخلافات مع جاراته بالطرق السلمية. لكن الحوادث تتابعت سراعًا خلال ثلاثة أيام «فقبل هتلر» رجاء الدول، وفى الوقت نفسه وضع شروطاً مستحيلة القبول لتخضع لها بولندا.. وكانت النتيجة الحتمية أن سبقت الطائرات والمصفحات الألمانية كل محاولات دبلوماسية لاهثة.. وأمطرت بولندا ـ مطاراتها ومحطات سككها الحديدية وأهلها المدنيين ـ بكل ألوان الدمار وهى تشق طريقها إلى داخلها.

لم تجد الحكومتان البريطانية والفرنسية مناصًا من توجيه إنذار نهائى إلى حكومة الرايخ الثالث بضرورة سحب قواتها الغازية من بولندا. فلم يتردد «هتلر» الجبار فى رفض الإنذار بكبرياء وغرور، وبهذا لم تجد الحكومتان مفراً من إعلان الحرب على ألمانيا النازية فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩. وبدأت رحى الحرب تدور لتذيق العالم أجمع أبشع ما ذاقته البشرية من ويلات منذ بدء الخليقة.

ومن المثير للدهشة أن «هتلر» لم يشأ أن يردّ على إعلان الحرب بمثله، وإنما فضلّ الصمت والردّ العملى السريع.. وهذه كانت من سمات الفوهرر الحربية، يعتمد فى هذا على جيش جبَّار خلقه على

شاكلته، اجتاح به بولندا التى لم يصمد جيشها للدفاع أكثر من ثلاثة أسَابيع، حتى حوّلها إلى أنقاض مدن وركامات قرى، كما غدر «ستالين» ببولندا.. فاخترقت جيوشه الشيوعية حدودها الشرقية عملاً بنصوص ما سبق الاتفاق عليه.. واقتسم الذئبان الضحية البولندية بعد استسلام جيشها الصغير. وزعمت الدولتان المعتديتان فى بيان لهما أنهما أرْستا أساساً وطيداً لسلام دائم فى شرق أوروبا»!!

فأى سلام هذا الذى تنهش فيه عظام واحد وعشرين مليون بولندى لاحول لهم ولاقوّة.. ولكنها إرادة جَبَّارَيْنِ تَواطَأ وتآمرا بِخِسَّة للانقضاض فجأة، ثم التلويح لدول الغرب برغبتهما بإجراء مفاوضات لعقد صلح فى إطار الإعلان الألمانى الروسى المشترك، لكن بريطانيا وفرنسا رفضتا مجرد الإصغاء لمساعى ملكى بلچيكا وهولندا للتفاوض.. فما كان من «هتلر» إلاّ أن فاجأ فرنسا بالهجوم على أراضيها، وهى مازالت بعد تُعبئ - أو بالأصح «تلملم» - جنودها استعداداً للحرب.

## اجتياح ألمانيا للدانمرك والنرويج:

ظلت الحرب على الساحة الفرنسية سبعة أشهر، لم يضيعّها «هتلر» هباء، وإنما رأى أن صناعة الأسلحة الألمانية يتهددها تحريض

بريطانيا لكل من الدانمرك والنرويج على إغلاق ميناء بها فى وجه نقل الحديد والفولاذ السويدى إلى ألمانيا خلال شهور تجمّد مياه بحر البلطيق، وبحسمٍ صامت اجتاحت جيوش «هتلر» المتعطشة للدماء الدولتين الصغيرتين دون أى إعلان بالحرب، متجاهلا ماكان بينه وبينهما من معاهدة عدم اعتداء، فالتهمهما فى أربع وعشرين ساعة بخطة هجوم دقيقة التصميم فى السرعة والتعاون بين أسلحة الجيش كافة.. أثارت إعجاب خبراء الحرب، كما أثارت قلق المتخاذلين.

لم يمهل «هتلر» أعداءه ليفيقوا إلى رشدهم، فسحق القوات البريطانية والفرنسية التى نزلت على البرّ عند ميناءَىْ نارفك وناسس. كما اضطرت جنود الحلفاء إلى الإسراع فى الانسحاب بعدما وصلتهم أنباء اجتياح ألمانى جديد لهولندا وبلچيكا ولوكسمبورج بغارات عنيفة فى مايو ١٩٤٠.. فألقت الرعب فى نفوس الهولنديين، وسقطت «روتردام» بعد أسبوعين.. ألقت بعده الحكومة الهولندية السلاح، وكذلك فعل ببلچيكا، حيث اخترقت قوات «هتلر» المصفحة خط دفاع الحلفاء كما اقتحمت غابات الآردن الكثيفة الوعرة.. وفرغت من السيطرة على المدن البلچيكية كلها فى الأسبوع الثالث من الغزو.

## محاصرة القوات البريطانية والفرنسية والبلچيكية:

وكانت عجلة الحرب تدور بأقصى سرعتها، حتى تعذّر على قادتها إيقافها، فانطلقت تعربد فى كل اتجاه، حتى وصلت إلى

الموانئ الفرنسية على القنال الإنجليزى فى اليوم الحادى والعشرين من مايو، فوصل الجيش الألمانى بقيادة الماريشال «فون روند شتر» إلى «بولون» و«كاليه».. وبَدَا كل شىء ينذر الحلفاء بهزيمة مروعة وكارثة ماحقة.. فانحطت روح الجيش الفرنسى بدرجة خطيرة جعلته يرتد أمام العدو بدون انتظام، كما دبّت الفوضى وازدحمت الطرق بالأهالى الفارين الذين ينشدون النجاة، وحوصرت القوات البريطانية والفرنسية والبلچيكية فى مثلث خطير.. لم يجد القائد العام الإنجليزى غير البحر لإنقاذ قواته، فتمكن من إجلاء ٣٣٤ ألف مقاتل من ميناء دنكرك الشهير بهذه المعركة.. ولكن الجيش البلجيكى اضطر إلى الاستسلام، أما الفرنسيون فقد حاولوا تعزيز مواقع دفاعهم على الحدود الشمالية والشرقية الشمالية بقيادة الچنرال فيجان، لكن قوات الألمان المصفحة قد حوّلت وجهتها صوب الجنوب، واخترقت خطوط الدفاع الفرنسية فى كل النقاط.. ومن ثم مزّقت الجيش الفرنسى، مما أضطر الحكومة إلى الانتقال من باريس إلى «بوردو»، فسقطت العاصمة بعد خمسة أيام، واستغاثت الحكومة بالرئيس روزفلت وبريطانيا لإمدادها بمساعدات جادة عاجلة، ولكن. بدون جدوى. وسقطت بالتالى الوزارة الفرنسية ليتولاها المارشال «بيتان» العجوز، ويطلب من الألمان وقف القتال تمهيداً لعقد هدنة بين الدولتين. ووقع الطرفان على الهدنة فى عربة

قطار عند «كامبين». . وهو نفس الموضع الذى وقعت فيه ألمانيا على استسلامها سنة ١٩١٨ . . كإصرار من «هتلر» على الانتقام لشرف وطنه وردّ اعتباره.

وبمقتضى شروط هذه الهدنة احتل الألمان جميع الأراضى الفرنسية من جنيف إلى «تور» شمالا، ومن هناك إلى حدود أسبانيا جنوبًا، كما يدخل فى نطاق الاحتلال كل الموانئ الواقعة على المحيط الأطلنطى والقنال الإنجليزى. وتم نزع سلاح قوات فرنسا وتسريحها وكذلك تتحمل فرنسا جميع نفقات الاحتلال، وتطلق سراح الأسرى الألمان لديها. . مع استبقاء الأسرى الفرنسيين لدى ألمانيا!! إنها شروط مهينة مجحفة تدل على مدى الحقد الذى يملأ صدور الفوهرر وأعوانه.

## الخوف وافتقاد الثقة بين روسيا وألمانيا

إنه برغم التحالف المكتوب بين الجبارَيْن: الشيوعى والنازى فإن الزعيمين دَاوَرَا وناوَرا حولَ دويلات البلطيق وفنلندا، فكانا أشبه بالضبعين يدوران حول ضحية ميتة فى الغابة، يحاول كل منهما أن يختطف أكبر نصيب منها، ولا يأمن أحدهما الآخر، برغم أنهما من فضيلة واحدة. . هكذا كان «ستالين» الجبار الشيوعى الخبيث، و«هتلر» الجبار النازى المغرور. . وكما اتفق الاثنان فى معاهدة تَراضٍ بالاقتسام، اتفقا اتفاقاً غير مكتوب على أنهما سيأتى الوقت الذى



يختلفان فيه على الأسلاب، والفائز هو الذى يسبق الآخر فى البطش بصاحبه.

راح «ستالين» يعمل بهمة ونشاط فى تعزيز حدود روسيا الجديدة، فطلب من دويلات البلطيق تقديم عدد من القواعد البحرية والجوية، ولم ترستونيا ولتقيا ولتوانيا غير الرضوخ لمطالبه، بل وقبلت اثنتان منهما بمرابطة بعض الحاميات العسكرية الروسية فى قواعد لديهما ثم استدار إلى فنلندا طالباً منها تنازلها له عن بعض الجزر فى خليج فنلندا، وكذلك ميناء «بتسامو» الذى لاتتجمد مياهه طول العام، والنصف الشمالى لبرزخ «كارليان»:

ولما رفضت هذه الدولة الصغيرة مطالبه، جرّد عليها حملة عسكرية لإخضاعها، فقاومها الفنلنديون أربعة أشهر مقاومة أذهلت العالم، حتى خارت قواها وألقت السلاح فى مارس ١٩٤٠. وتوالى شعار الجبّار السوفيتى فاستحوذ على دويلات البلطيق الثلاث، وانتزع إقليم بسارابيا من رومانيا، فضلا عن جزر فنلندا، واعتقد بذلك أنه استكمل نظامه الدفاعى ضد حليفه اللدود «هتلر»!

**المؤامرة والتطهير:**

افتضح أمر مؤامرة فى موسكو لاغتيال «ستالين»، وقبض رجال حرسه على القطبين المشاركين له فى الحكومة الثلاثية زينوفييف وكامينيف، كما جرّا اعتقالهما القبض على مجموعة من كبار

الشيوعيين، وكذلك سبعة من كبار قادة الجيش، وعلى رأسهم رئيس الأركان الماريشال تُكها شْفسكى.. وحوكموا جميعاً، وحُكم عليهم بالإعدام، ونُفِّذَ فهيم الحُكْم، واستتبع هذا القبض على مئات الألوف من المدنيين والعسكريين، وقُدّموا إلى محاكمات صورية، وحُكم عليهم بالإعدام أو السجن أو النفى إلى سيبيريا، أو اغتيلوا فى الخفاء، أو فصلُوا من الخدمة الحكومية. وتبين أن معظم هؤلاء كانوا من الضالعين مع ألمانيا النازية، وسعوا إلى تقوية الصلات معها..

واتضحت الصلة أكثر حينما جرت حركة تطهير فى ألمانيا النازية سنة ١٩٣٨، وهى حركة مماثلة لما حدث فى موسكو، فتمت الإطاحة بكل العسكريين الألمان، والمدنيين ذّوى الأهواء الستالينية.. فبدا الضرب فى الخفاء تعبيرا عن هذه الحرب الخفية بين جبَّارَىْ موسكو وبرلين ومع ذلك ظلّ ذلك الصراع بينهما مكتوماً، ينتظر اللحظة المتاحة للعلانية.. إمّا بصدام سافر، أو حرب نفسية أو باردة!! لكن فى هذه المرحلة فضّل «هتلر» تأجيل المواجهة مع «ستالين»، لانشغال جيوشه الجوية والبحرية فى معركة بريطانيا، وهو لايريد المحاربة فى جبهتين.

**غزو بريطانيا:**

حدد «هتلر» يوم الحادى والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٤٠ لغزو بريطانيا. وبدأ حركته الأولى فى هذا السبيل بتدمير الأسطول الجوى

البريطاني في ٨ أغسطس، وظل سلاحه الجوي يجتاح جنوب شرقي إنجلترا بطائرات حديثة ذات إمكانيات واسعة في الانقضاض وقذف القنابل والسرعة، ووضع خمسة أهداف لسلاحه الجوي:

أولها: تدمير القوافل الساحلية التي تموّن الجزيرة البريطانية بالطعام.

ثانيها: إغراق الأسطول أو تعجيزه عن الحركة ببث الغام ممغنطة من اختراع العلماء الألمان.

ثالثها: طرد سلاح الجوّ الملكي من السماء البريطانيا.

رابعها: شل الحركة في الموانئ وتحطيم جميع المطارات.

خامسها: المداومة على موجات الغارات الجوية حتى شهر أكتوبر بأعداد كبيرة من الطائرات.

ومع كل هذا تغلّب سلاح الطيران الملكي على الطيران الألماني.. فطرده من سماء الجزيرة، مما جعل «هتلر» يؤجل تاريخ الغزو، وتغيير وجهات الغارات على لندن نفسها بالدمار الشامل في الليل فبلغت الغارات ٩٦ غارة، أسقطت فيها ألمانيا خمسين ألف قنبلة شديدة الأنفجار والاحتراق، فدمرت كل المرافق، وشلّت الحركة في لندن تمامًا. ومع ذلك صمدت بريطانيا بفضل قيادة تشرشل وسياسته.. وتمكن علماؤه من استنباط طريقة لإبطال مفعول الألغام الممغنطة.

كما سبقوا الإجراءات لتسليم الأسطول الفرنسى إلى ألمانيا، فأستولى البريطانيون عليه فى وهران، وعوّضوا بذلك الخمسمائة ألف طن الذى غرق من الأسطول الإنجليزى.

وظل ميزان الانتصار والانهزام متراوحاً بين العدوّين، لاتميل كفته لأحد بالنصر النهائى، فكان الفيصل هو مدى طول النفس الذى يحققه كل طرف.

## ترهّل ميادين الحرب:

بعد أن دانت أوروبا كلها للديكتاتور «هتلر»، صار لزامًا عليه أن يمدّ أذرعته الحربية إلى خارجها.. فى إفريقيا والشرق، إلاّ أن الضربات المتلاحقة التى صبّها الإنجليز على الأسطولين الألمانى والإيطالى أفقدتهما فاعليتهما. فتفتق ذهن «هتلر» الجهنمى عن فتح جبهة جديدة فى اليونان، وحارب اليونانيون بشجاعة نادرة، لكن القدرة على المقاومة ما لبثت أن تهاوت أمام اكتساح قوات «البائزر» لكل قلاع الدفاع، كما همّت الغواصات الألمانية بحصار وحدات الأسطول اليونانى وتهديده بالإغراق إن لم يسلّم.. فاندفع الأسطول الإنجليزى لإنقاذه.

كل هذا يحدث بسرعات متفاوتة، فى حين ظلت الولايات المتحدة تراود نفسها فى تعديل قانون الحياد حتى تتمكن من دخول

الحرب وإنقاذ ما بقى من العالم القديم من دول، حتى تمكن روزفلت من إنجاح مشروع الإعارة والتأجير فى مارس سنة ١٩٤١، وبمقتضاه هلّ على بريطانيا فيض ضخم من الأسلحة والطائرات والسفن الحربية.. وبذلك بدأت بريطانيا تستعيد قواها.

**نفاد صبر «هتلر» وهزيمته:**

فى صبيحة ٢٢ يونية ١٩٤١ رفع الفوهرر قناع صداقته المصطنعة لستالين ليبدو وجهه الحقيقى البشع.. وكان لابدّ من توقع هذا الغدر.. إذ قذف «هتلر» بفرقه المصفحة وملايين مقاتليه عبر حدود الاتحاد السوفيتى.. معلنا فى بيانه الحرب عليه.. وقال بالنص: «قررت أن أضع مصير الشعب الألمانى وحكومة الرايخ ومصير أوروبا فى أيدى جنودنا».

ووقف العالم كله مشدوهًا لهذه المغامرة الجرئية، بل هذه المقامرة غير المحسوبة. وعلى الفور أعلن تشرشل تأييد بريطانيا للاتحاد السوفيتى فى الحرب.. كما انضم الألمانيا إيطاليا والمجر ورومانيا وفنلندا. وكذلك وقف رئيس الولايات المتحدة نفس الموقف الذى ساند به بريطانيا ليؤيد الاتحاد السوفيتى.

وبدأ «هتلر» شوطاً جديداً فى حرب طويلة مريرة لاهوادة فيها، انتصر فى بدايتها حتى طرق أبواب موسكو، وحاصر «لينينجراد» ستة



عشر شهراً.. لكن استماتة الروس فى الدفاع عن أرضهم جعلته يرتد خاسراً. ولم تستمر انتصارات جيوشه فى القطاع الجنوبى طويلا.. فما لبث أن استرد السوفيت مدينة «رستوف» وما إن حَلَّ الشتاء حتى بدأت الجيوش السوفييتية هجومها، فاستعادوا مدنهم، وفى مقدمتها «ستالنجراد» التى كلفت «هتلر» مليون قتيل من جنوده.. وأحدقوا فى هجمة مباغته بالقوات الألمانية، وأحكم «زوكوف» محاصراتها حتى اضطرت إلى التسليم فى آخر يناير سنة ١٩٤٣.. واعتدل ميزان القُوَى.. فاشتركت الولايات المتحدة اشتراكاً فعليًّـا.. وبدأت قوات الحلفاء فى وضع أقدامها على الأرض الإيطالية، ومهدّوا لاسترجاع أوروبَا، وتحررت دول القارة واحدة وراء الأخرى، ولم تجد صراخات «هتلر» لاستنهاض همم رجاله.. لكنه كاد أن يعترف بالحقيقة ليتخذ رجاله موقف الدفاع المتهالك بعد الهجوم.. حتى اضطر «اكسلرنج» إلى إرسال مندوبين عنه للتفاوض فى التسليم للحلفاء الغربيين فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٥. فاستسلم الألمان، وألقوا السلاح بدون قيد ولاشرط. فى حين واصلت قوات السوفيت تقدّمها حتى اقتحمت «برلين».. وجاهدوا فى البحث عن الفوهرر بدون جَدْوَى.. فلم يعلم أحد أين اختفى، أو إلى أين هرب؟!

من الملاحظ أن غطرسة «هتلر» منعته من التراجع أو من أن يوقعّ

على أوامر بانسحاب أو استسلام، وهذا عيب من عيوب الاستبداد في الحكم، والمغالطة في الحقائق.

إن «هتلر» لم يمت في المعركة، وإنما اختار خاتمة رومانسية لحياته، فتجرع السّم مع صديقته «إيفابراون» التي تزوّجها في ساعات احتضارهما.. حتى جسديهما لم يعثرلهما على أثر.. فقد احترقا تحت أنقاض حصنه، ولم يتركا غير طفلة اسمها «أوشي» أنجباها خلال صداقتيهما.

ولنا أن نتساءل هل كانت قوى «هتلر» العقلية كاملة، أم شابها نوع من التوقف المتقطع، يجعله جرئياً مقدامًا مرَّة، ومناوراً داهية مرَّة أخرى، أم أنه كره البشر فيما عدا جنسه الچرماني أو جذوره التيوتونية؟ وهل كان كرهه لليهود ناجماً عن معاملته لهم بالمثل، واغترارهم بقدراتهم الذهنية، وفتوحاتهم العالمية والأدبية، ونجاحاتهم المالية..؟

إن «هتلر» كان ـ كفرد ـ مرآة مجتمعه، بكل مافيه من اعتزاز وصراع.. فالمجتمع الألماني احتوى العنصر الآرى كأصل للألمان، والعنصر السامي كأصل لليهود الذين عايشوهم.. إذن فقد كان الصراع قائماً بينهما على أساس أيهما أكثر تميّزًا ونقاءً.. وغاية التطرف في هذا الرأى هو قول العالم الألماني «هرمان جوش»، الذى تولى ترويج الفلسفة العنصرية في عهد النازيين.. فزعم أن

الخصائص البشرية مقصورة على الشماليين، وأن الأجناس الأخرى وسط بين البشر والقردة!!

وإذا تذكرنا ما نادى به من قبل فيلسوف الإنسان الأعلى «نيتشه». . للمسنا قوة الفكرة المتسلطة التى وقع «هتلر» تحت تأثيرها. والفكرة المتسلطة من الأمراض النفسية المعروفة باسم «السيكاثينيا»، وتشمل المخاوف الشاذة، والوساوس، والأفعال القسرية. و«هتلر» منذ شبابه وهو ضعيف البنية، وضعيف البصر، وأُعْفِىَ من التجنيد لعدم لياقته، وكان ينأى عن النساء لخوفه من فشله الجنسى، حتى إذا ماعثر على «إيفابراون» وجد فيها ضالته فاقتصر عليها حتى نهايتهما المأساوية. ثم مايلبث أن أَلَحَّ فى السعى لردّ اعتباره، فتطوع فى الجيش الألمانى، وأثبت جدارته، ونجح فى مهامه التى التزم بها، وأصبح الزعيم الجبار الذى يثير مخاوف العالم كله، وحقق انتصارات لانظير لها فى السرعة والاجتياح.. لكن الفكرة المتسلطة وقفت حجر عثرة فى طريقه الذى لم يتبيّن نهايته وهذه من مخاطر هذا المرض.. تخلّى الإرادة عن هتلر فى وقت الشدّةُ.. فيندفع إلى سلوكيات عشوائية غير مأمونة العواقب.. تعود بالشرور والدّمار على صاحبها وعلى كل من تولّى أمرهم.. ولايسعنا إلاّ أن نشفق على هؤلاء الضعفاء إذا ما تجبّروا فى غفلة من الزمن، ونبحث عن صمام أمان للشعوب.. يمنع تسرّب هذه النماذج المريضة إلى رءوس الحكم وكراسيه..

وتحضرنى بهذه المناسبة تعريفات مختصرة للمرحوم عباس العقاد.. حين قال: النازية هى حكم الفرد على بقية الأفراد بأنهم حيوانات.. والشيوعية إنكار للفرد وتحقير للإنسان.. والصهيونية مؤامرة عالمية على كل إنسان من أجل مجموعة من المتعصبين تربصوا بالعالم واستولوا بالحيلة والخديعة على كثير من وسائل المال والإعلام.

# مـــراجـــع


١ ـ تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ـ فيشر. ت. أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع.

٢ ـ معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ. ج. ولز ت. عبد العزيز توفيق جاويد (جـ ٤).

٣ ـ روّاد البحار ـ ليونيل كاسون ت. جلال مظهر.

٤ ـ التاريخ الوسيط ـ نورمان ف. كانتور ت. د. قاسم عبده قاسم (جـ ١).

٥ ـ هتلر ـ دينيس ويمبان

٦ ـ الفكر المتسلطة ـ د. صموئيل مغاريوس.

٧ ـ عالم الفكر «المجلد ١٤ ـ العدد الأول» هتلر والصهيونية ـ د. سعد الله حلايا.

٨ ـ فى صالون العقاد ـ أنيس منصور.

٩ ـ أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم ـ د. هنرى توماس. ت. مترى أمين.

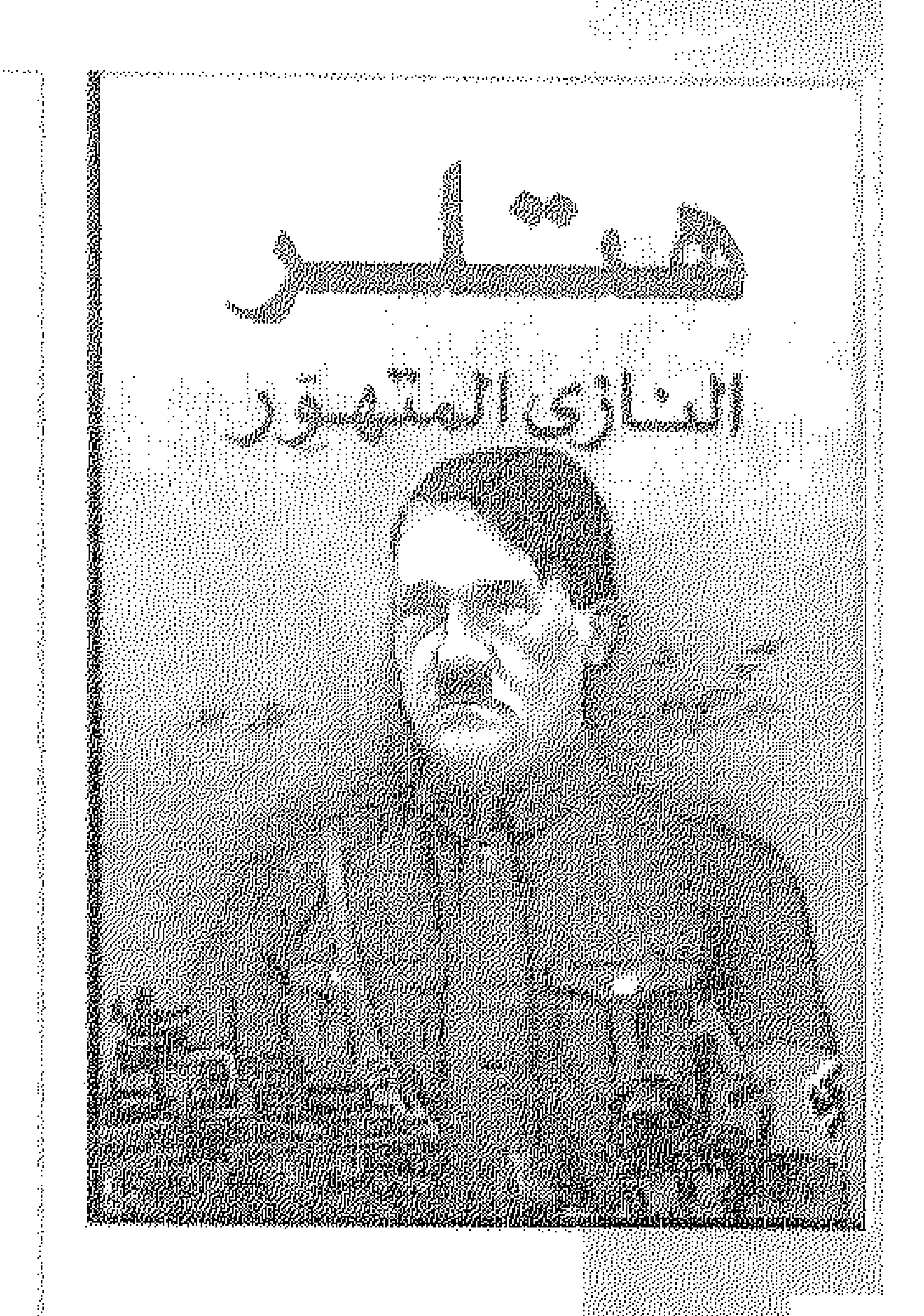
١٠ ـ هتلر ـ يوسف سعد

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |






● سجل « هتلر » فى كتابه الشهير « كفاحى » عبارة تقول : « كانت « فيينا » بالنسبة لى مدرسة شاقة ، إلاّ أنها علمتنى الدرس الأساسى فى حياتى » .. تُرى ما هو هذا الدرس ؟! .

● إن الوطن فى خطر .. هكذا توصل « هتلر » إلى تشخيص الداء ، فهل نجح فى التوصل إلى تحديد الدواء ؟! .

● قد يدهش الإنسان ويتساءل متحيرًا : هل يوجد كائن من الكائنات المنسوبة للبشر من الممكن أن يرتكب كل هذه الأعمال الوحشية دون أن يخفف قلبه استرحامًا أو عطفًا ؟ .. إن السفاح النازى يرد مبررًا فعلاته الهمجية بقوله: .......... تُرى ماذا قال ؟! .

● قد يندهش المرء إذا علم أن « هتلر » منذ شبابه كان ضعيفًا بصريًا وجسميًا .. بل وجنسيًا أيضًا ! ، ولذلك ففى محاولة لرد اعتباره تطوع فى الجيش الألمانى وأثبت جدارته العسكرية ، وأصبح الزعيم المخيف الذى يثير رعب العالم كله .. لكن [illegible]
متسلطة تقف حجر عثرة فى طريقه [illegible]
القارىء ـ ما هى هذه الفكرة الشريرة [illegible]